

عرض ونقض

إعداد
د / محمد صلاح عبده محمد

إعداد

د / محمد صلاح عبده محمد

إشكالية البحث:

بسم الله الرحمن الرحيم "الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى"، وبعد....

فإن الموت له هيته....

والأموات لهم حرمتهم.....

والقبور لها رهبتها.....

وقد فمت شريعتنا الغراء عن نبش القبور، ورغم ذلك فقد قام نفر من بيتنا حرص - كل الحرص - على ارتكاب هذه الجريمة النكراء، واقتراف هذا الذنب البشع، لا لشيء إلا القيام باستخراج جيفة متة، وبعث فكرة متعفة.

ففى منتصف هذا العام ٢٠٠٧م قام هؤلاء النفر بإعادة إنتاج الكفر، باستنساخه ونشره، والترويج له، ولم يجدوا بين أيديهم سوى وريقات صاغها الملحد المرتد إسماعيل أدهم (١٩١١-١٩٤٠م) ذلكم التركي الأخرق الذى فتحت له مصر ذراعيها وضمته إلى صدرها، فكافأها بصنيعه اللئيم هذا حيث نشر رسالته "لماذا أنا ملحد؟" فى عام ١٩٣٧م، وقد تصدى له الغيورون على دينهم وبني وطنهم، فقاموا بالرد عليه، وعلى رأسهم: أحمد زكى أبو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ

الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٦﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا

وَلْيَكُنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ

الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرَكَهُ يَلْهَثُ ذَٰلِكَ مَثَلُ

الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ

يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٧﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا

وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ صدق الله العظيم

سورة الأعراف الآيات ١٧٥: ١٧٧

شادي، ومحمد فريد وجدى، وماتت الفتنة فى مهدها، واندلفت من فورها بملك صاحبها منتحرا بعد ذلك بفترة وجيزة فى عام ١٩٤٠م.

ولا شك فى أن مصر الآن تعيش فى مناخ من الحرية غير مسبوق، وفى ظله لم يجد هؤلاء الشواذ ما يقدمونه لوطنهم سوى الكفر والكفران، الكفر بالله عز وجل، والكفران بالوطن، والانطلاق بحرية غير مسئولة ليس لها إلا معنى واحد هو الانفلات، وهو ما يشكل أبشع صورة من صور استغلال هذا المناخ الصحى الآمن، فى محاولة شبيهة بما كانت عليه مصر فى حقبة الستينات - عقد النكسة- حيث كان للذ الشيوعى على أشده حربا للدين وملاحقة لأهله، بالانتصار للمذهب الشيوعى، والترويج له، والتمكين لأصحابه بتيسير اعتلاتهم منابر توجيه الرأى العام فى وسائل الإعلام.

ويريد أذنانهم - اليوم- إعادة بعث هذه الفترة النكدية بمحاولة نفخ الحياة فى خطابها المحتضر؛ ولهذا رأينا عدائية للدين، وعدوانا على أهله، وتعددت المناهج وتنوعت الأساليب، فتارة نقرا تطاولا على الذات الإلهية، وأخرى نقرا

هجومًا على السنة النبوية، وثالثة نطالع تطاولا على رموز المؤسسات الدينية الرسمية، ورابعة... وخامسة... ولا ينتهي الهجوم أبداً، بل تتزايد الوجوه المعادية، وتتساقط الأقنعة البالية.

ومما ساعد على النفخ في النار شيوع فتاوى لم يكن المناخ مناسباً لها مثل: رضاع الكبير، أو شرب بول النبي ﷺ.

ولست ممن يخافون على الإسلام، أو ترتعد فرائصهم كلما تعرض لهجوم من أى نوع، ورغم ذلك فإننى فى شدة الخوف من أمر واحد، وهو: قهوين أمر الدين عند الناس، وهو الهدف الرئيسى لهؤلاء الخونة الذين لا يتورعون عن أى شئ: قولاً وفعلاً فى سبيل الاقتراب منه، أو الوصول إلى تحقيقه، وهم من أجل ذلك يصرون على الهجوم على الإسلام، وعلى عقيدته، وكتابه، ورسوله، وعلى كبار الصحابة، وعلى علماء الدين المسلمين، وعلى رجال الدين النصارى.

وفى تطور درامى عجيب خرجوا على الناس بالكفر الصريح، وأخرجوا كراسه الإلحاد من قبرها، كما يفعل السحرة عندما يخرجون الطيور من أغطية رؤوسهم، ويبض الدجاج من

أكمامهم على غير توقع من المفرجين؛ ليفاجئوهم بحركاتهم ظناً منهم أنهم يسلبون إعجابهم، فيسرقون دينهم، ويستلون عقيدتهم من صدورهم.

ولهذا فقد أردت من خلال هذه الصفحات التصدى لهم كما تصدى للبهايين من قبلهم^(١)، وإنى أستعين بالله عز وجل على مواجهة هؤلاء المارقين بهذا البحث الذى جعلته تحت عنوان:

تجربة إسماعيل أدهم

الإلحادية (عرض ونقض)

وأريد أن ألفت الأنظار إلى أمر مهم، وهو عدم اعتبار هذه التجربة فردية رغم شخصياتها الواضحة؛ لأنها تعبر عن تيار فى الفكر الإنسانى عامة، والفكر المصرى خاصة، ولهذا فإننا نقف ضد هذا التيار من خلال عرض هذه التجربة الإلحادية، ونصدى له عبر نقضها، وقد جاء هذا البحث على النحو التالى:

➔ إشكالية البحث.

➔ البحث الأول: الجو العام

لإعادة نشر الإلحاد.

(١) انظر: البهايون فى مصر وخطورتهم على الأمن القومى، بحث منشور فى حولى كلية أصول الدين والدعوة بالقازيق، العدد الثامن عشر عام ٢٠٠٦م، ص ١٠١١ ص ١١١٤.

الأزهر وأهله. انظر: <http://www.coptichistory.org/new>

ثم يأتى حلمى سالم الشاعر الماركسى المعروف الذى تطاول على الذات الإلهية فى قصيدة له بعنوان "شرفة ليلى مراد" يقول فى مقطع منها:

الرب ليس شرطياً

حتى يملك الجنة من قفاهم

إنما هو قروى يزغبط البط

ويجس ضرع البقرة بأصبعه صانحاً:

والمر هذا اللبن

الجنة أحرار لأنهم امتحاننا الذى يضعه الرب آخر كل فصل قبل أن يؤلف سورة البقرة انظر: <http://www.٠٧٧٧٠٥٥٥.com/new-s-service>

وتتضم نوال السعداوى إلى قائمة الذين روية الإله يقدم استقالته، بل تطالب بتعديل نصوص القرآن الكريم خاصة الآيات التى تحدث فيها المولى عن ذاته بصيغة التذكير، وحددت سورة الإخلاص حيث تريد تعديلها من "قل هو الله أحد" إلى "قل هو الله أحد" باعتبار أن الله روح والروح مؤنث وليس مذكراً.

انظر: جريدة الغد: السبت ٦ يناير ٢٠٠٧م وطالبت بإلغاء الآية الكريمة: "لذكر مثل حظ الأنثيين"

انظر: جريدة عقيدتى: الثلاثاء ٢٧ فبراير ٢٠٠٧م

فضلاً عن إفساح المجال للقرآنيين والشيعيين والبهائيين والعلمانيين وغيرهم فى كل وسائل الإعلام لنشر وإذاعة وعرض إلحادهم وفجورهم، والالفت للنظر المحسار الردود وانعدام المواجهات

➔ المبحث الثانى: إسماعيل أدهم:

ملاحى شخصيته وأضواء على تجربته.

➔ المبحث الثالث: نقض تجربة أدهم الإلحادية.

➔ الخاتمة.

أما من أصابه اختيار الموضوع فيمكن تلخيصها فيما يلى:

أولاً: احتفال الدوائر المشبوهة محلياً بتجربة ذلك الملحد، مما يحتم علينا ضرورة مواجهتهم، وفضح خططهم، وكشف شبهاتهم، وتقويض أسسهم التى يريدون رفع أبنية الإلحاد فوقها.

ثانياً: اكتمال تجربة إسماعيل أدهم من خلال امتزاج الشخصى فيها بالموضوعى فى طرح صاحبها لها، بالإضافة إلى محاولة إكسابها بعض المصدقية بزعم ارتكازها على قاعدة علمية، بينما توزعت التجارب الإلحادية - المعاصرة^(١) - فى أقوال متناثرة دون إطار عام يربط أنساقها المتبعثرة.

(١) مثل تجربة عبد الكريم نيل سليمان الذى كان مسلماً ثم ارتد، وكان طالباً أزهرياً ثم فصل من الجامعة، وقد أعلن هذا المرتد عن عقيدته بأن الإنسان هو إله نفسه، وأعلن عن كفره بالقدر، وتطاول على النبى ﷺ، وعلى المسلمين، ثم على

ثالثاً: استعلان ذلك الملحد بإلحاده، والتصريح به، وبارتياحه له مثلما يستريح المؤمنون إلى إيمانهم.

أما عن منهج البحث فسيكون سردياً تاريخياً عند الحديث عن الجو العام الذى عادت فيه رسالته إلى الظهور، وفي الجزء الذى يخص جوانب حياته الشخصية من البحث، ثم نتحول إلى المنهج التحليلي النقدي المقارن عند معالجة وتقييم تجربته الإلحادية، ولا يفوتنا أن ننوه بأننا توخينا الأمانة المطلقة في عرض أفكاره، فلم نزد حرفاً على ما قال، ولم نقص حرفاً مما قال.

وقد صادفتنا صعوبات عدة في أثناء البحث، منها: قلة المراجع التي تحدثت عنه وعن تجربته الأولى ومنها: تعذر العثور على مؤلفاته كلها التي كان من الممكن أن تلقى مزيداً من الأضواء على تجربته، ورغم ذلك فقد يسر الله تعالى الحصول على رسالة أخرى تحت عنوان: "من مصادر التاريخ الإسلامي"^(١)، وهي وثيقة الصلة برسالته: "لماذا أنا

المتكافئة بإضعاف فرصة علماء الدين في الرد عليهم والذود عن عقائدهم، وإلى الله المشتكى.
(١) طبع مطبعة صلاح الدين الكبرى/ الإسكندرية/ الطبعة الأولى سنة ١٩٣٦م.

ملحد؟" بل تعتبر تمهيداً لها وخصوصاً إذا راعينا توقيت نشر كل منهما، فالرسالة الأولى نشرت في عام ١٩٣٦م وقد صادرتها الحكومة لتتداول صاحبها على السنة النبوية المطهرة؛ لأنه جعل أهم أهدافها عدم الاعتراف بالحديث النبوي الشريف، فإذا تم له ذلك فقد انهار - من وجهة نظره - نصف الإسلام متمثلاً في عدم اعترافه بنبوته محمد ﷺ، وهو نصف الشهادة (أشهد أن محمداً رسول الله) انقضى على نصفها الأول ليس بإنكار التوحيد فحسب بل بإنكار وجود الله تعالى، وقد صنع ذلك فعلاً بتأليف رسالة "لماذا أنا ملحد؟" ونشرها في عام ١٩٣٧م، والمثير للاستغراب علم مصادرتها رغم مصادمتها للرأي العام المصري في هذا التوقيت، ورغم مصادرة رسالته السابقة وهي أقل منها خطورة!! وهذا البحث ليس تاريخياً للإلحاد في عصوره - قديماً وحديثاً -، ولا يحلأ عن أسبابه، ولا التماساً لوسائل علاجه، واجتثاث جذوره، فقد كفتنا دراسات متعددة معاناة هذا الأمر، ومعالجة تفاصيله، منها الدراسة التي أعدها الدكتور عبد الرحمن بدوي تحت عنوان:

"من تاريخ الإلحاد في الإسلام"^(١)، وقد نشرها أول مرة في عام ١٩٤٥م، ثم طبعت للمرة الثالثة في هذا العام، ومنها الدراسة التي أعدها الأستاذ عبد الرحمن عبد الخالق تحت عنوان: "الإلحاد: أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها"^(٢)، والدراسة التي أعدها الزميل الفاضل الدكتور إبراهيم عبد الشافي تحت عنوان: "التحليل النفسي لظاهرة الإلحاد"^(٣).

كما لا يخفى علينا أن الدراسات التي أعدت حول التيارات الفكرية، أو الفلسفة الحديثة، أو الغزو الفكري، أو ما شابه ذلك قد تعرضت بشكل أو بآخر لقضية الإلحاد، لحضور هذه الظاهرة بوضوح في هذه الميادين في كل العصور.

والإلحاد جريمة فكراء في حق الله تعالى، وفي حق الإنسانية، وقد أقسم الله

(١) نشر دار الشراع/ القاهرة/ الطبعة الثالثة سنة ٢٠٠٧م.

(٢) طبع مطبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، المملكة العربية السعودية/ الطبعة الثانية سنة ١٤٠٤هـ.

(٣) طبع مطبعة الحسين الإسلامية/ القاهرة/ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م.

عز وجل على خسر الإنسان مع استثناء الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، وفي ذلك يقول العلامة الدكتور زغلول النجار تحت عنوان: من الإعجاز الإنشائي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾^(١): "يعلم ربنا تبارك وتعالى بعلمه الخيط أن الغالبية من الناس لن يكونوا مؤمنين، وأخبر بذلك خاتم أنبيائه ورسله ﷺ من قبل ألف وأربعمائة سنة بقوله العزيز: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾"^(٢)، وأكد ربنا هذه الحقيقة في سورة العصر.

والتاريخ كله يؤكد هذه الحقيقة التي يدعمها الواقع الراهن الذي يعيش فيه اليوم أكثر من بليون ملحد يشكلون حوالي ١٦% من مجموع سكان العالم.

بينما يشكل المسلمون حوالي ٢٥%

والنصارى حوالي ٢٩%

والهندوس ١٤%

ومتبعو بعض التقاليد الصينية

القديمة ٥%

ومتبعو التقاليد الأفريقية البعيدة ٥%

(١) سورة العصر: الآية رقم ٢.

(٢) سورة يوسف: الآية رقم ٩٠٣.

والسيخ ٠,٣٦%

واليهود ٠,٢٢%

والباقي وقدره ٠,٤٢% بعض الديانات الأخرى.

وإذا علمنا أن عدد الذين يعلنون إichادهم في عالم اليوم يزيد عن البليون نسمة علمنا أننا نعيش في زمن من الفتن المتلاحقة^(١).

هذه الإحصائية تستوجب الانتباه، وخصوصاً من أصحاب الأديان السماوية: المسلمين والنصارى واليهود، وضرورة إحياء الحوار الحضارى فيما بينهم، وإثرائه في جوانب الاتفاق، والنأى به عن مواطن الاختلاف، ومن الأهمية بمكان الاتفاق حول هدف واحد هو: مواجهة الإلحاد بكل صوره وأشكاله، ووضع استراتيجية موحدة طويلة الأمد لتحقيق هذا الهدف الأسمى؛ لأن الملحددين كالفيرسات والجرائيم التى تسبب الأمراض التى قتل الحرت والنسل؛ لخطورة إلحادهم وأضرارهم المؤكدة على العقيدة، وعلى الأخلاق والسلوك.

ومصر مستهدفة، ولهذا فهى فى رباط إلى يوم القيامة، وجندها خير أجناد

(١) جريدة الأهرام: الإثنين ٣ سبتمبر ٢٠٠٧م.

الأرض كما أخبر بذلك الرسول ﷺ وأرجو أن أكون منهم لا سيما وأن الجهاد لم يعد وفقاً على خطوط التماس مع الأعداء فى ساحات المواجهات العسكرية بل امتد ليشمل ميادين أخرى؛ ولهذا ارتأينا وارتضينا الجهاد بالكلمة، والجهاد باللسان وحمل القلم فى هذا الزمان لا يقل خطراً ولا أهمية عن حمل السلاح؛ "إن التقوية لأسباب الدين والدعاء إليه قد تكون باليد، وقد تكون باللسان، إلا أن الحاجة إلى تأييده بقوة اللسان تكون أمس منه إلى تأييده بقوة اليد.

إن مكايده الخصال من طريقة التمويه باللسان تكون أنكى من مكايده المغتال من طريق السيف والسنان. وكيف لا تكون كذلك وهى مكايده روحية، وهذه مكايده جسمانية^(٢).

ويأتى هذا البحث كرمضة ضوء فى ظلمة حالكة لعل الله تعالى ينير به قلوبنا تنتظر الهدى فتنجو من الردى، أما

(٢) أبو الحسن محمد بن يوسف العامرى ٣٨١هـ: الإعلام بمناقب الإسلام ص ١٨٠ تحقيق ودراسة الدكتور أحمد عبد الحميد غراب.

المبحث الأول

الجو العام لإعادة نشر

الإلحاد

علمنا من السطور الأولى لهذا البحث أن المردد إسماعيل أدهم قام بنشر رسالته "لماذا أنا ملحد؟" فى عام ١٩٣٧م، وانتحر فى عام ١٩٤٠م، كما علمنا أن بعض المصريين قاموا بإعادة نشرها وتوزيعها فى هذا العام ٢٠٠٧م، ثم وجدنا من يتباهى بمناخ الحرية الذى كان سائداً فى هذه الفترة من الزمن التى كان الجهر بالكفر فيها أمراً هباحاً، واحترام للملحددين واضحاً كل الوضوح كما سنرى بعد قليل.

ثم توالى التباهى مع التباكى على ذلك للزمن الغابر، حيث طالعنا ذلك على صفحات بعض الصحف الحزبية^(٣) والمستقلة^(٤).

وكنت - ومازلت - أنظر بكثير من الريبة إلى هذا الطرح المتباكى الصادر عن كثير ممن ينتسبون إلى المؤسسات الإعلامية، والدوائر الثقافية الحاضرة فى الساحة المصرية على الحرية التى أتاحت

الذين ﴿عَامِنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾^(١) فأولئك ﴿لَهُمُ الْبَشَرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(٢) جعلنا الله تعالى منهم بفضله لا بعملنا.

والله أسأل أن يجعل بحنى هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبله بقبول حسن، وبالله التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

د. محمد صلاح عبده محمد

(١) سورة الرعد: الآية ٢٨.

(٢) سورة يونس: الآية ٦٤.

(٣) جريدة الأهلى: الأربعاء ٤ أبريل ٢٠٠٧م.

(٤) جريدة الدستور: الأربعاء ١٨ يوليو

٢٠٠٧م.

نشر الإلحاد، وأباحت المجاهرة به في القرن الماضي.

وكان حجم ريبقى يتضاعف، وشكوكي تتزايد كلما كشف لي البحث بعض المستور، أو صادفت فتحة يسر لي فهم ما بين السطور، ومن ذلك مثلاً ما قرأته للدكتور جابر عصفور في قوله: "والحق أن المرء يشعر بالفخر بمناخ الحرية الذي كتب فيه إسماعيل أدهم مقاله، فلم يسجن أو تصادر المجلة التي نشر فيها، ولا سحب الكتيب الذي طبعه من الأسواق، ولم يعاقب صاحب المجلة أو المطبعة أو الناشر بشئ.

الحق أيضاً أن يشعر المسلم بالفخر والاعتزاز بمحمد فريد وجدي وما يمثل من نموذج راق للمفكر الديني الذي يحاور بعلم ومعرفة ودراية، ولا يخفي جهله بأههام غيره، أو يستتر ضعفه يارهاب من يحاوره، فالرجل يستخدم الحجة لا القمع، ولا يلجأ إلى سلطة الشرطة بل إلى سلطة العقل، ويبدأ حواراً من حق مخالفته في التعبير الحر عن رأيه مهما كان هذا الرأي.

بعبارة أخرى: تعيدنا دراسة محمد فريد وجدي إلى ذكريات الكبار من علماء الكلام الذي كان ما يحسنونه من

كلام الدين في وزن ما يتقنونه من كلام الفلسفة فاستطاعوا تأكيد مبادئ العدل والتوحيد، وخدموا الإسلام بما يعجز عنه كل هؤلاء الذين يرهبون غيرهم باسم الإسلام^(١)، أو كما يقول في سياق آخر عن محمد فريد وجدي: "هذا مفكر إسلامي جليل لا يجد حرجاً في الرد على من يعلن إلحاده بأكثر من سيل، ويواجه هذا الإلحاد محترماً صاحبه مؤمناً بحقوقه الدستورية فلا يتحدث إلا بكلمة "حضرة" جانا لا هازلأ، ومحاوراً لا مرهباً، ومناقشاً الحجة بالحجة.

هذا المفكر الإسلامي واثق من عقيدته، واثق من تمكنه في الإقناع واثق من قدرات العقل على استمالة الجاحد والملحد والشاك، مؤمن أن العقل حجة الله على خلقه...."^(٢). ونحن نعرف محمد فريد وجدي قدره كما أقبله بالفضل علماؤنا البررة كالشيخ محمد^(٣) د. جابر عصفور: التنوير يواجه الإلزام ص ٢٣.

(٢) السابق: ص ٢٦، ولنا تعليق في سؤال: هل أعاد الحوار العقلي المدعوم بالاحترام الملحد إلى الإيمان؟ وهل استمال منهج وجدي الملحد إسماعيل أدهم فتراجع عن إلحاده؟ والإجابة معروفة ويعرفها عصفور قبل غيره!!

فقدناها في عصرنا الحاضر في زعم هؤلاء البكائين وهو المرتبط بالخروج على الدين والخلق الحسن؛ بدليل الثناء على مناخ الحرية الذي أتاح نشر التراث اليوناني الوثني، ونشر أصل الأنواع لدارون، وحفظ التحقيق مع د. طه حسين في قضيته حول كتابه "في الشعر الجاهلي"، ورد الاعتبار للشيخ على عبد الرازق بعد فصله من عضوية هيئة كبار العلماء بسبب آرائه في كتابه "الإسلام وأصول الحكم"^(٤)، وغير ذلك من النماذج الصادمة للأمة في دينها ومعتقداتها وأخلاقها، كسلمان رشدي في "آياته الشيطانية" وحيدر حيدر في روايته "وليمة لأعشاب البحر" وعلى حد تعبير أحد أصحاب هذا الاتجاه: "يتم الاعتداء على الإبداع في ظل الردة الدينية السائدة في المجتمعات العربية الآن، والتي تدق ناقوس الخطر، وتكاد تفرغ المجتمعات من هويتها وخصوصيتها الثقافية عبر إلباسها عباءة الدين، وواد الحرية والإبداع والفكر"^(٥)، وهكذا رأينا هذا الطرح الماركسي الخائن الذي

الغزالي^(١)، والأستاذ أنور الجندي^(٢)، ولكن الحق أقرب إلينا منه، حيث كان من المفترض تقديم هذا الملحد للقضاء، أو المطالبة بمصادرة رسالته الإلحادية مثلما صودرت الرسالة السابقة لها كما ذكرنا من قبل، ولكن حكم القضاء الأعلى كان أسرع بقضاء هذا الملحد نجمة متحرراً فأراح العباد من رجسه، وطهر البلاد من نجسه.

ولدينا ملاحظة نسوقها على عجل بمناسبة هذا الطرح المتباكي على مناخ الحرية في ذلك الزمن، وما يناظره من أزمان وفرت مناخاً مشابهاً، وهذه الملاحظة تخص نوع الحرية المأسوف على

(١) مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة ص ٣٠١
(٢) محمد فريد وجدي: رائد التوفيق بين العلم والدين، ولكنني مندهش لأن الأستاذ أنور الجندي لم يشر من قريب أو بعيد في هذا الكتاب عن هذا السجل الفكري الذي دار بين وجدي وبين أدهم رغم وجود موضوعات يستدعي سياقها ذكر هذا السجل، وخصوصاً في الباب الثالث الذي خصصه لمساجلات محمد فريد وجدي ومعاركه وذكر منها مواجهته كل خصوم الدين والروحية وما وراء المادة من أمثال شبلي شميل، والدكتور صروف، إلا أنه لم يورد في السياق أي ذكر للملحد إسماعيل أدهم. انظر الباب الثالث ص ١٤١ ص ١٨٧.

(٣) التنوير يواجه الإلزام ص ٣ ص ٢٧.
(٤) جريدة الأهالي: الأربعاء ٤ أبريل ٢٠٠٤ م.

قلب الحقيقة رأساً على عقب فجعل
الصحوة الإسلامية ردة دينية، وأورد
نماذج تنضح بالحق والفجور والإلحاد
ضد الأديان، وخصوصاً الإسلام.

والذى يؤكد للقارئ الكريم صدق
هذا الاستنتاج وشفافية هذه الملاحظة
التي رصدت الربط بين الحرية وبين إباحة
الفسوق، أو إتاحة الخروج على الدين
والخلق ما ذكره الدكتور عبد الرحمن
بدوى في ذلك الزمن القريب جداً من
زمن إسماعيل أدهم، فلا يفصل بينهما
سوى بضعة سنين في أدنى الأرض، فأدهم
نشر رسالته بالإسكندرية في سنة
١٩٣٧م، وبدوى نشر كتابه عن الإلحاد
بالقاهرة في سنة ١٩٤٥م، ومما جاء فيه
بخط يده قاتلاً بالحرف الواحد عن
الرازى غير خجل ولا وجل من إعلان
انهياره بإلحاده: "الرازى إذا يؤمن بإله
خالق حكيم، ولكنه لا يؤمن بالنبوة
والأديان، ويتزعزع نزعته فكرية حرة من
كل آثار التقليد أو العدوى، ويؤكد
حقوق العقل وسلطانه الذى لا يحده
شئ، وينحو منحى تنويرياً شبيهاً كل
الشبه بحركة التنوير عند السوفسطائيين
اليونانيين، وخصوصاً بحركة التنوير في
القرن الثامن عشر، ويدعو إلى إيجاد

نزعة إنسانية خالصة خالطتها روح ولية
حرة، مما يجعل من الرازى شخصية
فكرية من الطراز الأول، وواحداً من
أحرار العقل النادرين في التاريخ، ومن
أجراً المفكرين الذين عرفتهم الإنسانية
طوال تاريخها.

ولا يسع المرء إلا أن يحتلى إعجاباً
بهذا الجو الطليق الذى هباه الإسلام
للفكر في ذلك العصر؛ مما يدل على ما
كان عليه العقل الإسلامى في ذلك
العصر من خصب ونضوج.

أترى يتحقق مثل هذا الجو مرة
أخرى في حضارتنا العربية التى تأمل ل
إيجادها؟^(١)

وربما يكون حماس الشباب هو
الذى دفع الدكتور بدوى لإعلان رأيه
هذا في صدر حياته العلمية، ونحن لا
نلتمس له العذر من فراغ بل من خلال
الخط البيانى لفكره الذى تأدى به إلى
خواتيم عمره إلى الانتصار للإسلام
بإصداراته المهمة ويكفى أن نتعرف على
هذه العناوين منها: "دفاع عن القرآن
ضد منتقديه"، و"دفاع عن الرسول ﷺ

(١) د. عبد الرحمن بدوى: من تاريخ الإلحاد إلى
الإسلام ص ٢٦٣.

في هذه الأيام في موجة التكفير في زمن
التفكير^(٢).

نعود إلى الملحد إسماعيل أدهم الذى
حاولنا العثور على كراسته الإلحادية في
الأوساط التى احتفلت بها، وأعادت
توزيعها فذهبت مساعينا أدراج الرياح،
فاحتسبناها عند الله عز وجل، ولكننا لم
نيأس، وأعدنا محاولة البحث إلى أن
وجدناها على أحد مواقع الشبكة
الدولية للمعلومات، وهو موقع "اللا
دينين العرب"، فانزعجت غاية الانزعاج
مما رأيته على هذا الموقع من فجور في
الإلحاد لم أر له نظيراً على مدار تاريخ
الفكر الإنسانى، وقد نشأ موقع آخر
تحت عنوان "الملحدون العرب" نلتقط
من صفحته الأساسية هذه العناوين:

مواقع شاملة للفكر اللاديني.

مواقع الإلحاد.

مواقع اللا أدريّة.

مواقع الشكوكية.

مواقع المذهب الطبيعى.

مواقع العلمانية.

(٢) السابق: ص ٧٨، ومن الملاحظ أن كتاب
بدوى عن الإلحاد طبع ثلاث مرات حتى الآن:
الأولى في عام ١٩٤٥م، والثانية في عام
١٩٩٣م، والثالثة في عام ٢٠٠٧م.

ضد المنتقصين من قدره"، فوقف ضد
الطرح الغربى في وجهه المظلم ضد
الإسلام، وقد تسليح بأدوات الفكر
الغربى: منهجا وقراءة وتأليفاً، فكان -
بذلك- أكثر جدارة من غيره في الرد
على المخترعاتهم وتفنيدها، وقد نشر
الكتابان في الطبعة العربية عام ١٩٩٩م.
فإذا كنا ننضمهم موقف الدكتور
بدوى في بداياته فإننا لا نستطيع فهم
موقف الدكتور حسن حنفى في تبني
الرؤية الأولى لبدوى قبل نضجه
الفكرى، فيقول بعد ما يزيد على نصف
قرن من الزمان عن أحد كتب بدوى: "و
بالرغم من أن "من تاريخ الإلحاد في
الإسلام" لا يوضح في التصدير العام
الهدف النهضوى منه إلا أن العبارة
الأخيرة فيه توضح ذلك، وهى حرية
العقل الإسلامى في العصور الأولى، فهل
يمكن أن تعود مرة أخرى؟"^(١)، ثم
يقول مؤكداً على نفس المعنى: "ولكنه -
أى كتاب بدوى عن الإلحاد- ظل كتاباً
جريئاً في وقته، وأجراً منه أن يعاد طبعه

(١) د. حسن حنفى: الفيلسوف الشامل: مسار
حياة وبنية عمل ص ٧٧ ضمن الكتاب التذكارى
عن د. بدوى.

مواقع الإنسانية العلمانية.

مواقع العقلانية.

مواقع المادية

مواقع الفيزيقية.

مواقع الفكر الحر

مواقع محايدة.

مواقع لا دينية ضد الأديان.

ويقارن أحد المواقع اللادينية بين الإلحاد وبين اللادينية بعد تعريفها بما يلي:

" اللا دينية هي اتجاه فكري يرفض مرجعية الدين في حياة الإنسان، ويؤمن بحق الإنسان في رسم حاضره ومستقبله واختيار مصيره بنفسه دون وصاية دين أو تحكم شريعة.

واللادينية تختلف عن المفهوم التقليدي للإلحاد الذي يتخذ من قضية إنكار وجود الخالق منطلقاً وركيزة أساسية، إذ تقدم اللادينية تصوراً أكثر شمولاً واتساعاً للدين، فلا تختزل الدين بمجرد الإلهية، وإنما تطرح الإلهية باعتبارها جزءاً صغيراً من منظومة فكرية واسعة، حيث تحمل اللادينية أطيافاً متعددة لفهم الإلهية من الإنكار الكامل لها مروراً باللادينية، أو عدم الاكتراث أصلاً بوجود إله، وانتهاءً بإيمان خاص

بوجود إله وفق فهم محدود لعلاقة الإنسان^(١).

وقد بدأت تشكل في العالم العربي والإسلامي - للأسف الشديد - حديثاً حركات إلحادية ولا دينية، ولكنها لازالت تخشى الملاحقة، وظهرت في السنوات الأخيرة أصوات تحاول تنظيم نفسها، وتشر الفكر الإلحادي في العالم العربي، ولكنها لا تزال في مرحلة بدائية جداً، ويقتصر نشاطها على شبكة الإنترنت، ويتبادل هؤلاء الأشخاص الآراء تحت أسماء غير معروفة.

وبتصفح هذه المواقع امتلأت النفس بالألم والحسرة لطغيان الموجات والتيارات الإلحادية العربية وفجورها في نفس الوقت، والملاحظة الأولى التي يخرج بها كل إنسان دون عناء هو انفراد الإسلام من بين سائر الأديان السماوية والوضعية بحظ وافر من العدائية الوقحة، والخصومة الفاجرة.

فإذا عرفنا أن عدد متصفح هذه المواقع يقدر بمئات الألوف أحسننا بحجم الخطر المحدق بنا، والذي يتعرض

(١) نقلاً عن موقع

<http://ar.wikipedia.org/wiki>

المنشئ: الذي قام بإنشاء هذا الموقع

هو " ملحد عربي" مصري الجنسية، وهو يرجو أن يزيد عدد المشاركين في بناء الموقع من أبناء الوطن العربي الذين يحملون أفكاراً للإصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي، والذين يحملون فكر تأسيس الحريات الأساسية، وإقامة الديمقراطية، وحماية الأقليات.... إلخ.

امتدادات الإسلام بالعناء:

والذي يؤكد ذلك دون تجاوز منا هو قول منشئ هذا الموقع عن نفسه على سبيل التعريف، وسيرى القارئ كيف أن الإسلام مستهدف عند هذا الفاجر، ومن يقف خلفه أو إلى جواره في هذه العدائية الواضحة، وفي ذلك يقول: "أرى أني يجب أن أتكلم عن نفسي بالطبع بمصطلح "ملحد عربي"، وهو صفة وليس اسمي الحقيقي، والسبب وراء عدم ذكر اسمي الحقيقي هو أن هناك العديد من المتطرفين داخل الوطن العربي وخارجه الذين يريدون قتل أي شخص يختلف معهم في وجهة النظر، فما بالك بشخص يرتد عن دينه الإسلامي، والذي بعد طول تفكير وجد أن كتابه المقدس (القرآن) لا يصلح إلا ككتاب تاريخ

له ديننا، فماذا نحن فاعلون ضد هذا الطوفان الفاجر من المد الإلحادي السافر؟، وكيف نحصن أنفسنا لمواجهة؟، وكيف نعد العدة للدفاع عن معتقداتنا ومقدساتنا؟ إن الأمر جد لا هزل فيه، والمصاب جليل لا عزاء له!!

ولا مفر أمامنا من إشراك القارئ معنا في التعرف على بعض البيانات باللغة الخطورة، ولا يعترض علينا أحد زاعمنا أننا بذلك نساهم في الترويج للإلحاد، فتلك حجة داحضة لأن الإنترنت الآن صار في متناول الجميع، ولم تعد قراءة المواقع وقفاً على الحواسيب بل إن التقنيات الحديثة في ثورة الاتصالات - بعد الجيل الثالث في الهواتف - جعلت الإطلاع على النت أمراً ميسوراً وخدمة متاحة من خلال هواتف المحمول الذي أصبح في متناول الصغار إلى جوار الكبار.

بطاقة موقع "الملحدون العرب".

الزمان: الاثنين ١٥ أغسطس

٢٠٠٥م

المكان: شبكة الإنترنت، المصدر الأول للمعلومات لملايين الأشخاص في كافة أرجاء العالم.

ليس جيدا في الواقع، وليس كقيم تعطى للإنسانية.

كنت مسلما حتى سن السابعة عشر على الأكثر عندما بدأت تتكشف لدى الأخطاء الفادحة التي يرتكبها الإسلام في موضوعات مختلفة، الإسلام بالنسبة إلى هو مصدر للكرهية، ولا يمكن أن تتقدم شعوب الوطن العربي، وشعوب "العالم الإسلامي" عامة بدون التخلص منه^(١).

إن في الصدر شيئا حول اعتراف كاتب هذا الكلام الذي جعل مداد قلمه قبحا وصديدا بأنه عربي مصري كان مسلما فارتد عن الإسلام، فأغلب الظن لدى أنه لم يكن يوما ما عربيا ولا مصرياً، ولم يكن بالتوازي مع ذلك مسلما في يوم من الأيام، ففضلا عن أسلوبه الركيك، وجهالته الواضحة فإنني أشتم منه رائحة صليبية بغيضة.

وليس هذا فحسب بل إنه في سياق آخر يفصح عن نفسه فيفضحها أكثر بما نشتم منه رائحة صهيونية، وبذلك نرى الصورة أكثر وضوحا لاجتماع

(١) فقرات مقتبسة من موقع
http://www.arabatheist.human
ists.net/final

الصهيونية العالمية مع الصليبية على إعلان العداء للإسلام والمسلمين في كل الجبهات: عسكريا واقتصاديا وسياسيا وثقافيا، والأمثلة أكثر من أن تحصى.

فهذا "المهرجندوني" القمى يفصح عن صهيونيته بإبداء رأيه في المقاومة الفلسطينية التي يقول عنها: "إننا نظهم مشاعر الفلسطينيين إلا أننا ننادى بأن تكون المقاومة سلمية ولا تستعمل السلاح إلا بأمر من السلطة الفلسطينية المنتخبة.

ونحن نرى أن العمليات الانتحارية ضد المواطنين المدنيين الإسرائيليين هي عمليات إرهابية لا تجر على الشعب الفلسطيني إلا الخراب والدمار وتسوء [كذا] من صورة العرب في العالم"^(٢).

فهل هذه اللغة يقوها عربي مصري، إنما أشبه بالطرح الغربي، والرؤية الاستعمارية للصراع العربي/الإسرائيلي، ولا تكاد تختلف عن تصريحات الساسة الغربيين المواليين لحكومة إسرائيل وهل هذا حديث شخص واحد؟ أم حديث هيئات ومؤسسات؟

(٢) فقرات مقتبسة من موقع
http://www.arabatheist.human
ists.net/final

والصليبية الجديدة حسب إعلان كاهنها الأكبر يوش الابن.

أصحاب الموقع:

١- توضيح المبادئ العامة للإلحاد بالإضافة إلى توضيح الأفكار الأساسية التي يقوم عليها عدد من المذاهب الأخرى.

٢- شرح رؤيتنا الخاصة لكل من الأديان المختلفة وبخاصة (اليهودية والمسيحية والإسلام).

٣- تقديم عدد كبير من الرؤى الفلسفية لمشاهير العلم والفلسفة.

٤- ترجمة الوثائق والتقارير من لغات العالم المختلفة إلى العربية لإثراء المكتبة العربية بأفكار جديدة.

٥- أن يكون الموقع مكانا لالتقاء أصحاب الفكر الحر سواء كانوا من المؤمنين بوجود الله أو غير المؤمنين بوجوده.

٦- نشر العلمانية وفصل الدين عن الدولة في الوطن العربي.

٧- نشر الوعي بمفهوم الحريات الأساسية مثل حرية التعبير، وحرية الاعتقاد، والتجمع، والصحافة... إلخ.

والذي يؤكد صدق ظنوننا أن المقصود الأول من هذه المواقع المشبوهة الإسلام وحده هو ما جاء في تصريحهم بأنهم "ضد التعاليم الإسلامية التي تولد الكره والعنف في المسلمين، وضد التعاليم التي تؤدي إلى تمييز المسلمين عن غير المسلمين في مجال الحياة الدنيوية، ونحن ضد فرض التعاليم الدينية الإسلامية في المدارس والمؤسسات العامة"^(١).

فإذا كانوا صادقين في إلحادهم الذي يعني التكرار لكل الأديان وعدم الاعتراف بما فلماذا خصوا الإسلام وحده بهذه العدائية الواضحة؟ لماذا أعلنوا أنهم ضد التعاليم الإسلامية فقط؟ لماذا عن التعاليم اليهودية؟ وماذا أيضا عن التعاليم النصرانية؟

وما هي رؤيتهم - إذا كانوا حقا عربا مصريين وسابقا مسلمين- في إراقة دماء العرب والمسلمين بل والأقباط في بؤر الصراع العديدة على الخريطة العربية والإسلامية على أيدي الصهيونية

(١) فقرات مقتبسة من موقع
http://www.arabatheist.human
ists.net/final

تنظيم جبهة موحدة من أصحاب الفكر الحر لمواجهة التطرف والعنف في الوطن العربي^(١).

الأقليات في الوطن العربي:

يتحدث أصحاب هذا الموقع بصيغة الجمع -أيضا- عن رؤيتهم لقضية الأقليات في العالم العربي بلغة تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن هذا الموقع المشبوه لا يمكن أن يكون الذين أنشأوه عربا مصريين، أو مسلمين مرتدين عن الإسلام، إن الصياغة لفقرات هذا الموقع تذكرنا بما توعد به الصهاينة العالم كله في "بروتوكولات حكماء صهيون" من خراب ودمار وفرقة وانقسام ليسود اليهود العالم، فالأقليات في العالم العربي في رأيهم قاموا بالتعبير عنها بالصيغة الآتية: "نحن نؤمن بالدولة العلمانية أى الدولة التى لا تبني على أسس دينية وعرقية بل مبنية على أساس التعددية والديموقراطية وإقامة الحريات العامة.

نحن نؤمن أن الأقليات هي جزء أساسي من تركيبة الوطن العربي يجب أن تحصل على حريتها كاملة غير منقوصة،

(١) فقرات مقتبسة من موقع

وبالتالى يجب عليها أن تشارك في نقضته^(٢).

حقوق المواطنين بين السطح الخارجي والداخلي:

يقول أصحاب الموقع: "نحن مع الدعم الخارجي لمجموعات حقوق الإنسان وحقوق المرأة والمنظمات المطالبة بالديموقراطية...^(٣)"

ما أشبه هذا الكلام بما تدعو إليه منظمات المجتمع المدني في مصر بما يتسجم مع رؤية وزيرة خارجية أمريكا للإصلاح في الوطن العربي، وإعادة صياغة خريطة الشرق الأوسط، من خلال ما يسمى "الفوضى الخلاقة" بما يتوازى مع تحقيق المصالح الأمريكية اليهودية المشتركة، وللأسف فإن لهم ماجورين خونة بين صفوفنا، وليس أدل على ذلك من عملاتهم بيننا الذين يطالبون بتقليص المعونة الأمريكية لمصر في هذه الظروف العسيرة والمعطف

(٢) فقرات مقتبسة من موقع

(٣) فقرات مقتبسة من موقع

وعلى المستوى العملى ينبغي التعامل معه كما لو كان غير موجود شأنه شأن تجريدات ذهنية عديدة لا برهان على وجودها كالغول والعنقاء^(١).

ويقول ملحد آخر اسمه شهاب الدمشقي في مرارة واضحة ضد الدين وضد الله عز وجل: "وربما كان الرهان على الدين هو مسألة وقت، فمئذ قرون خلت عندما كانت معارف الإنسان محدودة كانت الغلبة للخرافة، ومع مرور الأيام وتطور العلم تمكن الإنسان من حل بعض الألغاز، وتناقصت تدريجيا الخرافات، ومن يدري؟؟؟

ربما في يوم من الأيام سيتمكن الإنسان من حل هذا اللغز الغامض: من أين أتيت؟ عندها: سيموت الله^(٢)، لا يمكن صدور هذا التعبير عن عربي إلا إذا كان ريبيا للثقافة الغربية التى أعلنت عن موت الإله على لسان نيتشه.

في هذا الجو المسموم، ومن خلال هذا المناخ الملوث بكل هذا الكم الهائل من العدائية للأديان، وخصوصا الإسلام عادت رسالة إسماعيل أدهم الإلحادية إلى

(١) نقلا عن موقع:

(٢) السابق: نفس الموقع.

التاريخي الحرج الذى تمر به البلاد، وقد قىض الله كثيرا من الشرفاء من الحزبيين والمحامين وغيرهم لتقديم بلاغات للنائب العام المصرى ضد هذا الخائن بتهم الخيانة العظمى والعمالة لدولة أجنبية... إلخ.

في هذه المواقع المشبوهة عثرت على رسالة الملحد إسماعيل أدهم "لماذا أنا ملحد؟" وقد توازى معها في نفس الطرح بعض الملحددين المعاصرين، ونلتقط معا هذه السطور من مقالة "الغريب المنسى" وأعتقد أن هذا الاسم ليس حقيقيا بل هو اسم حركى له دلالة حيث جمع فيه بين الغربة والنسيان، يقول ذلك الغريب الحقير في مقالته التى عنوانها: "لا منطقية أطروحة الإله الشخصاني خالق الكون": "عجزى عن معرفة مسببات بعض الأنظمة لا يمرر منطقيا تعميم هذا السبب البشرى حتما على تلك الأنظمة اللابشرية في صورة تجريد ذهني لإنسان خارق أسميه "الله" مثلا، وإنما يصلح هذا الـ "الله" سببا محتملا يقبل الصواب أو الخطأ..

إذن فإن "الله" هذا يعتبر على المستوى النظرى مجرد احتمال تجريدى،

الظهور من جديد، ولكنها قبل ظهورها على الإنترنت كانت قد وزعت بين الشيوعيين في القاهرة.

يبد أن ظهورها على الإنترنت جاء كرد فعل على إحدى المقالات الصحفية التي هاجمت صاحبها توزيع هذه الكراسة في القاهرة المعز، عاصمة مصر، قلب العروبة النابض، وحامية حتى الإسلام بأزهرها المرباط إلى يوم القيامة.

ولكن لماذا وقع اختيارهم على كراسة إسماعيل أدهم بالذات؟، والإجابة على هذا السؤال تجعل من الضرورة وضع بعض الفروض كما يلي:

أولاً: التوارى خلف هذا النموذج فرارا من المساءلة، وخشية من الخاسبة، فمن الذي باستطاعته تقديم شخص ميت للمحاكمة، وهو منهج مآكر يتيح لأصحابه الاستعلان بما يريدون من آراء مهما بلغ كفرها وفجورها تسترا بأصحابها الأصليين، وقد عبر الدكتور حسن حنفي عن هذا المنهج بدقة وإيجاز بقوله: "إذ تعبر "الأنا" عن ذاتها من خلال "الآخر" حامية للأنا وتسترا بالآخر"^(١).

(١) الفيلسوف الشامل: مسو حياة ونية عمل، ص ٣٩

ثانياً: ادعاء صاحب التجربة بصدوره في إلحاده عن موقف علمي، وهو ما يريد أنصاره الآن الترويج له بالتليس على القراء بزعم اعتماد الإلحاد على أسس علمية، ومن ناحية أخرى ادعاء المعارض بين الإسلام وبين العلم.

ثالثاً: سهولة الترويج لنشر هذه التجربة الإلحادية، ويسر تداولها لشدة اختصارها في صفحات قليلة.

وهذا هو ما قام به هؤلاء الخونة، حيث عثروا على نسخة من رسالة: "لماذا أنا ملحد؟"، وأعادوا طباعتها وتوزيعها وتداولها بين أوساط العلمانيين وأذئاب الماركسيين في القاهرة في هذه العام (٢٠٠٧م)، وقد صرحت بهذا بعض الصحف واسعة الانتشار داخل مصر وخارجها، وبعض المواقع على شبكة الإنترنت، ففي مقالها الذي جاء عنوانه: "أشرح الخبل كله أم من الخبل اختصر؟" كتبت الأستاذة صافي ناز كاظم تقول عن هؤلاء: "يلفون ويدورون ويقومون ويقعدون، ولا يكفون عن التحرش، وكأن الدنيا لم يعد يخربها سوى أن دين دولة مصر هو "الإسلام"، وأن خانة توضيح "الديانة لا

هذا استفزازا لمشاعر ملايين المسلمين في كل أركان الأرض، وهاهم يعلنون بفجور: "قررنا إعادة نشر هذا الكتاب الصغير بعد أن قرأنا مقال السيدة "صافي ناز كاظم" في جريدة "الشرق الأوسط"... وحيث إن الضال إسماعيل أدهم لم يعد قادرا على الرد علي "تحفة الألباب" (نقصد القصيدة وليس السيدة) فقد ارتأينا إعادة نشر هذا "الكراس النحيل" عملا بحرية النشر والتعبير التي كانت أفضل حالا في بلاد العرب قبل أن ينحرفها تحالف العسكر والجاز"^(٢).

ولن نعلق على السخرية الواردة من كتابة المقال في هذا النص لاعتبارها هينة بجوار هذا الفجور السافر بنشر هذا الكفر الصريح ليكون متاحا للجميع، وبعد قيامهم بنشر هذه الكراسة قاموا بالتعقيب عليها بقولهم: "لم نعرض على صورة منشورة له، فهل يملك أحد القراء المصريين صورة لإسماعيل أدهم"^(٣).

ولم يكتف هؤلاء المارقون بنشر كراسة الإلحاد، ولم يكتفوا بالإعلان عن بيعها بالترويج لها عبر الإنترنت ونشر

(٢) نقلا عن موقع:

<http://www.ladeeni.net>.

(٣) الموقع السابق: نفسه.

تزال قائمة في الأوراق الرسمية، إنهم هؤلاء الذين دأبوا على احتكار لقب "الثقفيين"، وأغلبهم لا يعرف من الثقافة سوى عنوان كتاب "لماذا أنا ملحد؟" ينطقونه بتلمظ وفخر.... مع أنه لا يعدو كونه كراسا نحيل لا يزيد عن ١٣ صفحة كتبها مخبول عام ١٩٣٧م، وانتحر بعدها بثلاث سنوات في ٢٣ يوليو عام ١٩٤٠م غريقا في بحر عروس البحر الأبيض المتوسط (الإسكندرية).

وإسماعيل أحمد أدهم المولود في ١٣ يناير ١٩١١م صاحب هذه الأوراق "العبيطة" التي تعود لتطفو هذه الأيام عوامة يتعلق بها حضراتهم في نضالهم المكثف من أجل إنقاذ مصر من "الإسلام" و "التدين" و "الإيمان"، والعياذ بالله من شياطين الإنس والجن"^(١).

ولم يمض أسبوع حتى انبرى أصحاب موقع "اللاذيين العرب" بنشر كراسة إسماعيل أدهم كاملة كما ذكرنا من قبل ردا على ذلك المقال الذي اقتبسنا منه هذه السطور، وجاء صنيعهم

(١) جريدة الشرق الأوسط الخميس ٣١ مايو ٢٠٠٧م.

صورة لغلافها الحديث الملون بل تمادوا في مروقهم بمناشدة القراء تزويدهم بصورة شخصية له، وقد أتيح لنا العثور على صورته، وسنقوم بنشرها في ملاحق البحث، والسؤال: لماذا جاء الخطاب قاصرا على المصريين فقط؟، ألا يعطى ذلك انطبعا مباشرا بأن المصريين مستهدفون لإفساد دينهم وزعزعة عقائدهم؟

ولم يكذب يعض أسبوع آخر حتى انتفض صحفي مصري غيور للتحذير من هذه الهجمة الشرسة على الإسلام، فقد كتب الأستاذ فتحى محمود فى عموده الأسبوعى تحت عنوان " لماذا أنا ملحد؟" مقالا نلتقط منه هذه السطور: " فهم بعض العلمانيين الجدد - عن جهل - العلمانية بشكل خاطئ، وتصوروا أن الهجوم على أى رمز إسلامى يثبت علمانيتهم، فتخصص بعضهم فى الهجوم على الحجاب، واستهدف آخرون أى داعية إسلامى ناجح حتى لو كان مشهودا له بالاعتدال، واتهم بعض قدامى الماركسيين الفرصة لمحاولة تشويه الإسلام والتخلص من آثاره سواء بطلب إلغاء المادة الثانية من الدستور الخاصة

بالشريعة الإسلامية، أو باستغلال بعض المطبوعات التى يسيطرون عليها لنشر الأعمال التى تسمى للذات الإلهية، وتسخر من فكرة الدين.

والغريب أن هؤلاء يحضون الآن بإعادة تصوير كتيب قديم وتوزيعه على المريدين والأتباع باعتباره الدستور الذى سينقذ مصر، وهو لا يزيد على ١٣ صفحة بعنوان " لماذا أنا ملحد؟" كتب شخص مضطرب نفسيا يدعى إسماعيل أدهم عام ١٩٣٧م، وانتحر بعدها بثلاث سنوات، وأتمنى أن لا يكون هذا مصيرهم^(١)، وقد أوردنا صورة المقال فى ملاحق هذا البحث.

والجديد فى هذا المقال أنه قام بتعريفنا بشخص المهتمين بنشر الإلحاد، وإعادة إنتاج الكفر، وهم الماركسيون الذى حرموا فضيلة الحياء، ولما سألنا هذا لا يمكننا كتمان مشاعر الأسى والأسف لوجود هؤلاء المارقين لى حضور واضح على الساحتين الثقافية والإعلامية، بل واحتلال بعض رموزهم لمقاعد قيادية فى كثير من المؤسسات الحكومية الفاعلة وخصوصا التابعة

(١) جريدة الأهرام: الثلاثاء ١٢ يونيو ٢٠٠٧م.

"تأثر إسماعيل أدهم بالمد الشيوعى الإلحادى بسبب إدماجه قراءة إنتاج القوم حتى علقت أفكارهم بعقله، وتمكنت من قلبه، فألف رسالة سماها: "لماذا أنا ملحد؟"^(١).

وبعد أن قام معد البرنامج/ المقال بإيراد بعض البيانات الشخصية عن ذلك الملحد، وآراء علماء عصره فيه عقب على ذلك كله بفقرة إرشادية تتناسب مع البرامج الإذاعية يقول فيها عنه: " اختار الكفر على الإيمان، وتدرج فى مهاوى الضلال إلى أن وصل إلى آخر دركاته وهى الإلحاد - والعياذ بالله - لتكون خاتمة فى تلكم الجثة الطافية على مياه البحر آية لمن خلفه من شباب الإسلام الناهين أن لا يغتروا بذكائهم ومواهبيهم، فيخوضوا ذات اليمين وذات الشمال معرضين أنفسهم للفن والانسلاخ من الدين، إما بإدماهم العكوف على كتب أهل الضلال والخيرة والشك، أو بمصاحبتهم وألفتهم بمن يشككهم فى دينهم، ويهون عليهم الطعن فيه، أو التحرر من بعض شرائعه..

لوزارتى الثقافة والإعلام، فضلا عن صدور جريدتين تملان الاتجاه اليسارى المصرى وهما: الأهالى والبديل، بالإضافة إلى وجود نفر منهم فى الحقل الإعلامى وخصوصا فى الصحافة المستقلة، كما يوجد آخرون فى الصحف والمجلات القومية.

وبعد انتشار رائحة الإلحاد الكريهة وجدنا ضرورة العودة إلى البحث فى الجذور القرية للموضوع، وهالنا ما توصلنا إليه من معلومات نكتفى بإيراد بعضها، ونسوق مثالين يعبران عن منهجين لتناول مشروع إسماعيل أدهم الإلحادى، وكلاهما تم نشره فى عام ٢٠٠٣م.

المثال الأول: عبارة عن مادة إذاعية تحت عنوان " انتحار ملحد" خاصة بإذاعة طريق الإسلام أضيفت لموقعها على الإنترنت بتاريخ ٤ يناير ٢٠٠٣م، واللافت للنظر أن هذا البرنامج الذى تحول إلى مقال مقروء قد بلغ عدد قرائه ٣٧٩٢٢، وقد ساق صاحبه سليمان الخراشى عددا من الملحدین الذين أمهوا حياقم بالانتحار، جعل فى صدارتهم هذا المسخ الشائه الذى نحن بصدد الحديث عنه نلتقط منه هذه السطور:

(١) نقلا عن موقع:

وإسماعيل أدهم مجرد أنموذج سقته للاعتبار بحاله حيث ارتد على دبره بعدما جاءه الهدى، واستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير^(١).

المثال الثانى: عبارة عن محاضرة ألقاها الدكتور قدرى محمود حفى تحت عنوان: "فى مهب رياح الثورة والهزيمة والبتروى" ضمن ندوة "جدلية الذات والآخر فى الثقافة العربية" فى ١٠ أبريل ٢٠٠٣م بكلية الآداب جامعة عين شمس.

وقد ساق الدكتور فى محاضره بعض المشاهد الدالة على الاختلاف الفكرى وليس الاختلاف الذى يأخذ منحى عرقيا أو جنسيا أو دينيا... إلخ، وقد اختار إسماعيل أدهم ليمثل المشهد الأول، وبعد أن عرض لتجربته الإلحادية بإيجاز ختمه بإبراز حرص محمد فريد وجدى على وصف ذلك الملحد بلقب "حضرة الدكتور"، ثم عقب على ذلك المشهد بقوله: "ها نحن إزاء من يعلن عن إلحاده فى مقال منشور يحمل اسمه دون مواربة، بل ويحاول تعميم دعوته بأن يحول مقاله إلى كتيب منشور، فإذا بمجلة

الأزهر ترد عليه مفندة آراءه، مخاطبة إياه بلقبه العلمى مسبقا بكلمة "حضرة الدكتور".

ويبدو أنه لم يرد فى ذهن أحد من متلقى الأمر فكرة اللجوء إلى السلطة والمطالبة على الأقل بحرمات إسماعيل أدهم من الكتابة أو إغلاق الجريدة التى نشرت له، بل لقد ظل إسماعيل أدهم حيا إلى أن انتحر^(٢).

وهذا يذكرنا بمنطق التباكى على المناخ السابق الذى أشرنا إليه فيما سبق عند د. عصفور، وغيره بدليل اختياره لنماذج أخرى مثل: نصر حامد أبو زيد، وحيدر حيدر، وفرج فودة، وغيرهم.

وتمضى الأيام ويأتى عام ٢٠٠٦م حاملا معه ضراوة رياح التطاول على الدين ورموزه، والتصريح بالتباكى على حرية القرن السابق، فى مقال منشور بموقع حركة "كفاية" يعزف نفس النغمة النشاز التى مضمونها الانبهار بنشر كراسة الإلحاد، ولكن صاحب هذا المقال جهول، حيث اعتبر نشر تلك الكراسة فى عقد الأربعينيات، وهذا خطأ

(٢) نقلا عن موقع:

<http://www.arabpsy.net.com>.

(١) الموقع السابق: نفسه.

الحملات غير المسئولة من التكفير والتشهير^(١).

تذكرنا هذه الاتهامات التى ساقها هذا الكاتب الحقود ضد الأزهر الشريف بما يتنادى به أولئك الذين فى قلوبهم مرض بين الحين والحين، ولعل أحد روادهم فى هذا كان من مشاهير الأدباء وهو توفيق الحكيم الذى كتب قائلا: "وقد آن الأوان لتواجه الأمر فى صراحة فيما يتعلق بتدخل الأزهر المتكرر فى شئون الدولة الفكرية، وأن تدبر من الآن الخطر الذى يهدد حرية الكتابة، وخطر التأليف وفنضة العلوم إذا سيطر على الحياة الفكرية فى هذا البلد العصرى بمثل هذه الروح، فالمعروف عن ظلام القرون الوسطى أن الكنيسة كانت هى التى تتحكم فى عقول المفكرين مما أدى إلى شل حركة العلوم والفنون"^(٢).

ولا يمل أنصار هذا التيار المعادى للأزهر من الربط بين الإسلام

يضاف إليه خطأ ثان وهو نسبة بحث "لماذا أنا مؤمن؟" لحمد فريد وجدى فى حين أنه لأحمد زكى أبو شادى، وخطأ ثالث وهو نسبة بحث "لماذا هو ملحد؟" لأبى شادى بينما هو لوجدى، ولا يعنينا ذلك بقدر ما تصدعنا وقاحتة فى تصدير مقاله بالهجوم على الأزهر الشريف الذى قال عنه: "الأزهر يؤكد عمليا وجود ما يمكن أن يسمى بالكهنوت الدينى الإسلامى، وإن كان لا يستطيع الاعتراف بذلك صراحة، بل ويعلن أن وجود مثل هذا الكهنوت لا يستطيع الاعتراف بذلك صراحة بل ويعلن أن وجود مثل هذا الكهنوت مناف لطبيعة الإسلام، وأنه أمر خاص بالتفكير الكنسى فى العصور الوسطى.

لكن هناك فرقا بين ما يقال وما تتم ممارسته على أرض الواقع؛ لأنه لو كانت هناك قناعة حقيقية من جانبهم بما يقولون فكيف تفسر هذا التاريخ الطويل من المصادرات والتكفير وإثارة الناس ضد الكتاب والمفكرين باسم الدين، والتشهير بهم على المنابر، وهو مناخ يمهّد تلقائيا إلى قتلهم كما حدث، وكما نتوقع أن يحدث إذا ما استمرت هذه

(١) نقلا عن موقع:

<http://www.Kefaya.org>.

(٢) د. محمد رجب البيومى: الأزهر وحرية الفكر ص ١١٤٤ مقال بمجلة الأزهر يونيو ١٩٧٩م نقلا عن: وثائق من كواليس الأدباء لتوفيق الحكيم ص ١٢٠.

والنصرانية، والمقاربة بين الأزهر والكنيسة دونما يعتمد ذلك الربط وتلك المقاربة على أسانيد علمية أو دينية أو تاريخية، وقد تأكد بطلان هذا الخلط المتعمد بين الأوراق من خلال الطرح الإسلامي ذاته للقضايا المرتبطة بالعلم وطلبه والحض عليه، والتفكير عمومًا، وإعمال العقل وتوظيفه، وعدم إهدار طاقته بأى شكل من الأشكال، وعدم تعطيله بأية صورة من الصور، ونصوص الإسلام ذاتها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تؤكد صدق هذا الرأي^(١)، بالإضافة إلى امتلاء أرفف المكتبات بمئات الدراسات التي تعطى المصادقية لما نقول، ولكن ما حيلتنا إزاء هؤلاء الكتاب الذين تمتلئ بهم ساحات ومناير توجيه الرأي العام الذين يصرون على عنادهم وعدائهم للأزهر، والجماعات الإسلامية، مع دوام التحذير من الدولة الدينية، وأقرب الأمثلة الدالة على ذلك ما نشرته جريدة الأهرام الآن أثناء كتابة هذه السطور لأحد كبار

(١) انظر لكاتب هذه السطور: اهتمام الخطاب القرآني بقوى الإدراك الإنساني وأثره في الفكر الإسلامي بحث منشور بمجلة كلية أصول الدين/ القاهرة/ العدد الثاني عشر، سنة ١٩٩٥ م.

كتابها في مقاله بصفحة قضايا وآراء تحت عنوان " التطرف الأيديولوجي ومخاطر الدولة الدينية" قال فيه:

" التطرف - أيا كانت نوعيته - هو المقدمة الضرورية للسلوك الإرهابي، وذلك على أساس أن العقل الديني التقليدي الذى عادة ما يفرز التطرف الأيديولوجي هو المرحلة الأساسية في بناء العقل الإرهابي.

والعقل الإرهابي تبدو خطورته في أنه يبيح لأنصاره تأويل النصوص الدينية من آيات قرآنية وأحاديث نبوية لكى تتفق مع أهداف الجماعات الإرهابية، وهذه الأهداف تتمثل في هدف أسنى وهو الانقلاب على الدولة العربية المعاصرة، وإنشاء دولة دينية على أنقاضها، بالإضافة إلى الهيمنة على المجتمع من خلال تشكيل فرق خاصة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تقوم على قمع الجماهير، وإجبارها على تطبيق ما تراه من سلوكيات تتفق مع رؤيتها للعالم التي تتسم بالتشدد والانغلاق والرجعية.

إن الفارق الجوهرى بين الدولة الدينية والدولة المدنية أن الأولى تقوم على الفتوى التي يصدرها رجال الدين،

وأن الثانية تقوم على التشريع تحت رقابة الرأى العام.

والدولة المدنية هي في الواقع الدولة الحديثة التي شهدتها المجتمعات المتقدمة، والتي تم تأسيسها في ضوء موجات الحداثة الأوروبية أساسا.

وهذه الحداثة كان لها شعار شهير هو " أن العقل يحكم على الأشياء" بعبارة أخرى: إن النص الديني المسيحي أزيح من مكانه المركزي بعد قيام أوروبا بثورتها الثقافية ضد الكنيسة نتيجة لتعسفها وسيطرتها الرجعية على مجمل الفضاء العام، وتمت هذه التحولات الكبرى تطبيقا لمبدأ العلمانية^(١).

ولن نكلف أنفسنا مشقة الرد على هذه الرؤية القاصرة بيد أن لنا بعض الملاحظات عليها نجملها فيما يلي:

أولاً: حساسية هذا الكاتب من الدين التي تبدو من خلال نظره لما أسماه " العقل الديني التقليدي"، وهو يفرز التطرف الأيديولوجي الذى يشكل الأساس لبناء العقل الإرهابي على حد تعبيره.

(١) جريدة الأهرام: الخميس ٢٠ سبتمبر ٢٠٠٧ م.

ثانياً: اقامه للعقل الإرهابي - حسب وصفه - بتأويل النصوص الدينية من آيات قرآنية وأحاديث نبوية لكى تتفق مع أهداف الجماعات الإرهابية، وهو هنا ساوى بين جميع الإسلاميين، ولم يستثن منهم أحداً، بدليل انطلاقه من توجيه النقد للعقل الديني التقليدي وهو سبب المصائب كما يرى، فإذا كان هذا ما يراه في هذا العقل فما هو العقل الديني غير التقليدي؟، وأين هو؟ ومن هم ممثلوه؟، وإذا وجدوا هل سيوافقهم على تدينهم؟ أشك في ذلك.

ثالثاً: الصراخ والضجيج خوفاً من الانقلاب على الدولة الحديثة وإنشاء الدولة الدينية على أنقاضها، والتحذير من الهيمنة على المجتمع من الفرق الخاصة التي تقوم على قمع الجماهير... إلى آخر هذه الإطلاقات التي نشم منها رائحة كريهة!!

رابعاً: التذكير بما حدث في أوروبا من إقصاء الدين عن كل أرجاء الحياة فيما عدا الدور الباهت الذى تقلص في جانب العبادة فقط من خلال إزاحة النص الديني المسيحي من مكانه المركزي - حسب تعبيره - فهل هذا ما يريده للنص الديني الإسلامى؟، إنه يعقده

هذه المائلة غير الصادقة لا يمثل ذاته بقدر ما يمثل تيارا فاعلا في الساحة الثقافية المصرية، ألم يطالب نصر حامد أبو زيد وهو الأكاديمي المتخصص بالتححر من سلطة النصوص حيث يقول بالحرف الواحد: "وقد آن أوان المراجعة والانتقال إلى مرحلة التححر لامن سلطة النصوص وحدها، بل من كل سلطة تعيق مسيرة الإنسان في عالمنا، علينا أن نقوم بهذا الآن وفورا قبل أن يجرنا الطوفان"^(١).

خامسا: زعمه بأن الدولة الدينية

تقوم على الفتوى التي يصدرها رجال الدين وهذا جهل فاضح لأن الدولة تعتمد الشريعة الإسلامية مصدرا للتشريع، وهي تستمد مرجعيتها من القرآن الكريم والحديث الشريف وليس من فتاوى العلماء.

سادسا: ميل هذا الكتاب صراحة

إلى اختيار العلمانية التي يزينها للقراء

(١) د. محمد بن سعيد السرجاني: الاتجاهات الحديثة للمستشرقين ومن تابعهم في تفسير القرآن الكريم ص ١٥٧. نقلا عن: الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية ص ١٤٦ لنصر حامد أبو زيد بحث بمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، سبتمبر ٢٠٠٧م.

بأنها ليست فصل الدين عن المجتمع بل فصل الدين عن الدولة، فهل نفهم من هذا قبوله للحضور الديني في المجتمع بينما يستكر حضوره في الدولة؟ وهل يريدنا دولة بغير دين؟!، وهل رجال الدولة ينتمون لعالم آخر غير المجتمع الذي هم جزء منه؟ ولعلنا ما زلنا نذكر أن العلمانية كانت من أهداف موقع 'المحددون العرب'!!

ولا نريد أن يخرجنا الاستطرد لمناقشة هذه الأفكار البالية التي تسربل بين الحين والحين بزى جديد لسهولة تسويقها والترويج لها في مجتمع متلين لن تنطلي عليه ألاعيب الحواة!! والذي نود التأكيد عليه الآن فيما يشبه العناوين دون الدخول في التفاصيل هو ضرورة التفرقة بين الإسلام والنصرانية وخصوصا في القضايا التي تهم بالعلم والمدنية مثلما صنع الإمام محمد عبده الذي لختاره نموذجاً في سياقنا هذا، ومن ناحية أخرى ضرورة التفرقة بين الكنيسة والأزهر لا سيما فيما يخص حرية الفكر، فإذا كان الحجر على الفكر مطلباً من مطالب الكنيسة خاصة في العصور الوسطى باعتراف أتباعها أنفسهم فإن الأمر على العكس من ذلك تماماً

بالنسبة للأزهر الشريف وتحت يدي عشرات الشهادات صادرة عن حكام دول عربية وإسلامية وعلى رأسهم رئيسنا محمد حسني مبارك، ورؤساء حكومات، ووزراء، وعلماء من كل أقطار الأرض، ومنهم غير المسلمين كلها تقر للأزهر بكل الفضل في حراسة الإسلام، والدفاع عنه، والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، من خلال منهج ومطى أجمع على الاعتراف به خصومه قبل أنصاره اللهم باستثناء البعض ممن في قلوبهم مرض، ولن نستطيع في مقامنا هذا الإكثار من الاقياس من هذه الشهادات بل نكتفي بنموذج واحد يدل على صدق تخيلنا، وهو ما قاله الإمام المراغي: "إن الناس في مصر يخشون خطر الأزهر على الحياة العامة فهم يقولون: إن الأزهر إذا قوى واشتدت عزيمته يدخل في الحياة الاجتماعية فيكدر هذه الحياة إذ يحظر حرية الفكر، ويقف حجر عثرة في طريق الأفكار العلمية الحرة.

أما الحياة الفكرية فلا أظن بحال أن الأزهر خطر عليها؛ لأن الأزهر يساير أسلافه من العلماء الأجلاء، ومن الأئمة الذين كان عندهم من سعة الصدر ما

احتمل هذه المذاهب المتعددة التي تقرؤها في علم الكلام، وقد حمى الإسلام أدياننا تخالفه، وحمى علماء الإسلام مذاهب غير صحيحة، واجتهدوا أن يردوا عليها بالدليل، فليس الأزهر من المعاهد التي تكره حرية الرأي، ولكن الأزهر يكره شيئا واحدا هو تعمد الاستهزاء بالدين، وتعمد الاستهزاء بأئمة المسلمين، يكره هذا، ويكره أن يشك العامة في دينهم، وأن يشك النشء في عقائدهم.

أما الآراء العلمية في حدود العلم ودائرته فإنها تدرس في دون أن يحظر للأزهر يقاومها"^(١).

وما أشبه الليلة بالبارحة فلقد وقع ما حذر الإمام المراغي من حدوثه منذ أكثر من ستة عقود من الاستهزاء بالدين، وأئمة المسلمين، وتشكيك العامة والناشئة في عقائدهم، وهو ما نجد له حضورا واضحا محليا وعالميا.

أليس الترويج للكفر وإعادة إنتاج الإلحاد والتبشيريه مما يشكل قمة الاستهزاء بالدين الإسلامي بالذات،

(١) الأزهر وحرية الفكر ص ١١٤٨، ١١٤٩ نقلا عن مجلة الرسالة، نوفمبر ١٩٤٧م.

وهو ما يدور على الساحة الفكرية المعاصرة من خلال هؤلاء المارقين الذين يخرجون على الناس خلف أقنعة عديدة، فتارة خلف قناع البهائية، وأخرى خلف قناع الماركسية، وثالثة خلف قناع العلمانية، ورابعة خلف قناع الليبرالية... إلى آخر هذه الأقنعة التي يجمعها رباط غير مقدس، وهو العداء للدين، وخصوصا الإسلام.

وفي هذا السياق نستأنس بوجهة نظر الدكتور محمد عمارة في قوله: "لقد رأينا أغلب الذين ضلوا عن سبيل الله فأخذوا في الواقع الإسلامي المعاصر أكثر الناس جهلا بالإسلام، ورأينا صفوفهم قد خلت من أهل الفكر والاجتهاد والتأمل والنظر الفلسفي، فكان إلهاد "الثقفين" منهم "تقليدا" لمفكرى الغرب الذين تتلمذوا عليهم دون غيرهم عندما رأوا الإسلام وكأنه المسيحية الغربية كما رآها أئمتهم وأسلافهم الغربيون، يستوى في ذلك "الليبراليون"، "والشموليون" من هؤلاء الماديين الملحدين، أما إلهاد "عامتهم" من أشباه المتعلمين وأنصاف الثقفين فهو إلهاد "تقليد" أو "مجنون" و "تحلل من التكاليف" قلدوا فيه "مثقفيهم"...

فلا الإسلام بمقيم أمام العقل عقبة تبرر الإلهاد، ولا الدين ألهاد قد خبروه حتى تكون لهم حجة في استنارة هذه الأمة الغربية إلى عالم الإسلام والمسلمين^(١).

ونختم هذا البحث باقتباس عن الشيخ محمد الغزالي يقول فيه تحت عنوان: "لا مكان للإلهاد بيننا"، وكأنه يقصد هؤلاء النسل الذين روجوا للكفر، وأعادوا إنتاجه ونشره، وهبأوا النسخ لظهوره، ومهدوا التربة لاستنابت بلده الخبيثة: "ما هؤلاء الناس؟..."

إنهم مسخ غريب الأطوار، صفيق الصياح، بليت به هذه البلاد إثر ما صنعه الاستعمار بها، وترك بلرة في مشاعرها وأفكارها.

فهم - كما جاء في الحديث - من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا.

بيد أنهم عدو لتاريخنا وحضارتنا، وعبء على كفاحنا ونهضتنا، وعون للحاقدين على ديننا، والضائين بحسن الحياة له ولمن اعتنقه.

إن هؤلاء الناس الذين برزوا فجأة، وملأت ضجعتهم الأودية كما تملأ

(١) الغزو الفكري وهم أم حقيقة ص ٣٤.

المبحث الثاني

إسماعيل أحمد: ملامح شخصيته

وأخوة علي تدمرت

١- أدهم بين حديث المراجع

عنه وحديثه عن نفسه:

لم يتيسر لنا - للأسف - من المصادر العدد الكافي الذي يتيح لنا إمكانية التعرف على ملامح إسماعيل أدهم الشخصية، وقد كانت هذه إحدى الصعوبات الواضحة التي اعترضت خط سير هذا البحث، بيد أننا عثرنا على ترجمة موجزة له في كتاب الأعلام يمكننا توظيفها بالإضافة إلى ما كتبه عن جوانب من حياته الشخصية في رسالة "لماذا أنا ملحد؟"، واستخدامها في تكوين صورة أقرب ما تكون إلى الواقع ولنبدا بما ورد في الأعلام، ونقتبس هذه الفقرة التي جاء فيها: "إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم باشا أدهم: عارف بالرياضيات، له اشتغال بالتاريخ، شعبي، تركي الأصل، أمه ألمانية، كان أبوه ضابطا في الجيش التركي، وجدّه معلما للغة التركية في جامعة برلين، وجد أبيه مدير ديوان المدارس المصرية في عهد محمد علي.

الضفادع بنقيها أكناف الليل يجب أن يمزق النقاب عن سريرهم، وأن تعرفهم هذه الأمة على حقيقتهم حتى لا يروج لهم خداع، ولا ينطلي لهم زور"^(١).

٢١- وهذا ما نحاوله في بحثنا هذا ذودا عن ديننا، ودفاعا عن عقيدتنا، ضد هؤلاء المارقين أعداء الوطن والدين، وبالله نستعين.

(١) مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة ص ٢٣٨.

ولد إسماعيل بالإسكندرية، وتعلم بها وبالأستانة، ثم أحرز "الدكتوراه" في العلوم من جامعة موسكو سنة ١٩٣١م^(١)، وعين مدرسا للرياضيات في جامعة سان بطرسبرج، وانتخب عضوا أجنيا في أكاديمية العلوم السوفيتية، وعهدت إليه جامعة فزيبورج بالإشراف على طبع كتاب المستشرق سيرنجر عن حياة محمد ﷺ، وانتخب وكيلا للمعهد الروسي للدراسات الإسلامية، وانتقل إلى تركيا فكان مدرسا للرياضيات في معهد أتاتورك بأنقرة... وعاد إلى مصر سنة ١٩٣٦م فنشر رسالة بالعربية "من مصادر التاريخ الإسلامي" صادرا من الحكومة، و"الزهاوي الشاعر"، وكتابا وضعه في "الإلحاد"... وأصيب بالسل فتعجل الموت، فأغرق نفسه بالإسكندرية منتحرا^(٢).

ورغم اقتضاب هذه العبارة إلا أنها مليئة بالحقائق ذات الدلالة في تكوين صورته، والتعرف على ملامح شخصيته

(١) هذا التاريخ يخالف ما ذكره إسماعيل أدهم في رسالة "لماذا أنا ملحد؟" حيث ذكر أنه حصل على دكتوراه في عام ١٩٣٣م، وليس عام ١٩٣١م كما ورد في الأعلام.

(٢) الزركلي: الأعلام ٣١٠/١.

من خلال تدرجه في الوظائف، ونقله في البيئات المتعددة، مع محاولة استنباط الخيوط الرفيعة الرابطة بين هذه البيانات وبين اتخاذ قرار الإلحاد، ونستطيع التركيز على ما يلي:

١- انتخابه عضوا أجنيا في أكاديمية العلوم السوفيتية، ثم انتخابه وكيلا للمعهد الروسي للدراسات الإسلامية، كما عهدت إليه إحدى الجامعات السوفيتية بالإشراف على كتاب عن حياة الرسول ﷺ، فإذا لاحظنا أن عمره عند حصوله على الدكتوراه كان الثين وعشرين عاما فقط استطعنا التعرف على علل اختياره لعضوية هذه الأكاديمية، ووكالته لذلك المعهد، بجوار الأعمال الأخرى؛ ونستطيع استنتاج أن هذه الهيئات كانت تعد إسماعيل أدهم إعدادا خاصا لحمل لواء الإلحاد ورفعته في التوقيت المرسوم في قلب العلم العربي والإسلامي النابض مصر المحروسة، فأية عبقرية تقع بها هذا الشاب؟ سوى جاهزيته واستعداداته للقيام بهذا الدور الشائن، ولدينا من القرائن ما يعطى مصداقية عليا لهذا الاستنباط.

٢-

لم يشير الزركلي إلى إلحاده الشخصي، ولم يتطرق إلى عقيدته الذاتية، بل اكتفى بالإشارة إلى كتاب وضعه في الإلحاد وهذا كلام تنقصه الدقة، ولا نروه المقام الزركلي في أمانته، وختم الترجمة بهم علينا وضع علامات استفهام جديدة عن الربط بين حالته المرضية وبين اتخاذه قرار الانتحار بما يجعل القارئ يربط بين مرضه وبين انتحاره، يقول الزركلي: "وأصيب بالسل فتعجل الموت... إلخ" والحقيقة غير هذا، فكم من المرضى عاش صابرا على مرضه إلى أن وافته منته، والواقع أنه انتحر لمرضه في الحياة، وكراهيته لها وهذه بعض سمات الملحد، ونستعرف فيما يلي من الفقرات على تفصيل أولى عن هذه الأمور، ونختصها في الفقرة الأخيرة من هذا البحث.

٣-

نعود إلى الملاحظة الأولى حول تدرجه في المناصب في الاتحاد السوفيتي بعد حصوله على الدكتوراه من جامعة موسكو، لتعلم أن ذلك البلد البعيد كان وما يزال معقل الإلحاد في العالم، ومن البسهي معادة الشيوعية للأديان وخصوصا الإسلام ومن المعلوم استحالة المصالحة أو

التعايش فيما بينهما، وقد كان لذلك أعظم الأثر في نزوعه نحو الإلحاد.

٤- انتقله إلى تركيا وقد كان ذلك في الفترة المنحصرة بين عامي ١٩٣٣م وبين عودته إلى مصر ١٩٣٦م، بيد أن هناك إشارة أخرى صادرة عن إسماعيل أدهم نفسه تفيد أنه زار تركيا قبل هذا التاريخ، وعاش فيها من عام ١٩١٩م حتى عام ١٩٢٣م، كما تعرفنا على إشارة ثالثة تنص على اعترافه بمغادرة مصر سنة ١٩٢٧م متوجها إلى تركيا حيث أقام فيها ثلاث سنوات أسس فيها جماعة لنشر الإلحاد، وقد قام أعضاؤها بالاتصال بجمعية نشر الإلحاد الأمريكية، وما لبثوا أن انضموا إليها وغيروا اسمها إلى "الجمع الشرقي لنشر الإلحاد"^(١).

وبتأمل هذه التواريخ نستطيع الحكم بأنه بدأ رحلته مع الإلحاد في منتصف العقد الثاني من عمره، ولا نستطيع إغفال ما كان عليه المشاغل التركي في هذا التوقيت الذي كان يساعد على التحرر من الدين، والانسلاخ من العقيدة:

(١) إسماعيل أدهم: لماذا أنا ملحد؟ كرامة منشورة بالمرق: <http://www.ladeeni.net>

ونحن في سياقنا هذا نعلن اهتمامنا بإعلان موقفه الراض للإيمان والذي تجلّى في مشهدين:

الأول: إعلانه عن تكوين جماعة نشر الإلحاد بتركيا، وذلك قبل سفره إلى موسكو.

الثاني: اعترافه بخروجه عن الأديان، وتخليه عن كل المعتقدات، وإيمانه بالعلم وحده وبالمنطق العلمي، وقد جاء هذا الاعتراف بعد سفره إلى موسكو وحصوله على درجة الدكتوراه في عام ١٩٣٣م.

علما بأننا لا نستطيع عزل هذين المشهدين عن نوازع الإلحاد المتجذرة داخل نفسه منذ طفولته، والتي كانت لها تجلياتها الواضحة المتمثلة في إعلان سخطه على القرآن الكريم رغم زعمه بأنه أتمه حفظا وتجويدا وهو في سن العاشرة، وتمرده على ممارسة الشعائر الإسلامية من صلاة وصيام التي كان يجبر على القيام بها مما جعله يعترف بأن هذه الأمور كانت من أسباب التمهيد لثورة نفسية على الإسلام وتعاليمه^(١).

وربما يكون مرد هذه الثورة النفسية ضد الإسلام هو ذلك التمزق

الذي ران على حياته فيما بين الخضوع لزوج عمته المكلف من قبل والده لإجباره على القيام بممارسة التعاليم الإسلامية، والانصياع لشقيقته - بعد وفاة أمه - اللتين كانتا تصطحبانه إلى الكنيسة كل يوم أحد، وتقومان بتلقيه تعاليم المسيحية، وفيما يبدو أنهما كانتا غير صادقتين في صنيعهما هذا معه، بل لعلنا لا نعدو الحقيقة إذا حكمنا بضع إيمانهما؛ لأنهما على حد تعبيره "لا تنقلان عليه بالتعليم الديني المسيحي، بل لقد درجتا على اعتبار أن كل ما نحببه التوراة والإنجيل ليس صحيحا، وكانتا تسخران من المعجزات ويوم القيامة والحساب؛ وكان لهذا كله أثر نفسي^(٢)"، فأخذه إذن كانتا ضمن العوامل المساعدة على تكوين أمر السنين لديه.

ويبدو لنا من خلال اعترافاته لصدر رسالته الإلحادية أنه كان ذا قدرات عقلية خاصة، ولم يكن طفلا عاديا حيث بدأ القراءة في مكتبة والده منذ طفولته، وشرع في تعلم عدة لغات أجنبية، وفي تطور لاحق بدأ قراءة

(٢) السابق: نفسه.

٢- البيئات التي تقلب فيها وآثارها على اتجاهه الإلحادي:

تعرفنا في الفقرة السابقة إجمالا على بعض البيئات التي تقلب فيها، حيث تعددت هذه البيئات بانتقاله بينها، ومن أشهرها مصر، وتركيا، وروسيا، مصر التي شهدت بدايته بالميلاد ونهايته بالانتحار، وكانت شاهدة على جهره بالكفر بنشر كراسته الإلحادية في خواتيم حياته، وتركيا التي عاش فيها فترات متقطعة من حياته كون في إحداها جماعة لنشر الإلحاد، والاتحاد السوفيتي الذي حصل في عاصمته على أعلى الشهادات العلمية كما عرفنا فيما سبق.

بالنسبة لمصر رغم فخرنا بتدين شعبها منذ فجر التاريخ^(١) إلا أننا لا

الكتب التي تؤدي إلى الإلحاد، وكانت قراءاته متنوعة تتراوح بين الأدب التركي والعالمي، وبين الفلسفة والعلوم البيولوجية والطبيعية حيث انتهى إلى الانسلاخ من الإيمان شيئا فشيئا.

يبد أن هناك أمرا فارقا في حياته عندما أعلن الثورة على أبيه الذي فرض عليه الإسلام والقيام بشعائره فرضا، فامتنع عن الصلاة، وقال لأبيه بالحرف الواحد: "إن لست بمؤمن، أنا داروين أؤمن بالنشوء والارتقاء".

ويجب أن لا يغيب عن أذهاننا الخلفية الإسلامية لهذا المرتد، والتي تجلت في ديانة أبيه، ورغبته في تنشئة ابنه الوحيد عليها للإفلات به من مصير شقيقته اللتين ورثتا النصرانية عن أمهما مما حدا بالوالد إلى المبالغة في قهر ابنه على الإسلام، وتعلمه، وممارسة شعائره منذ طفولته البكرة التي أكمل فيها حفظ القرآن الكريم وتجويده وهو في العاشرة من عمره، وقد أدى ذلك إلى نتائج عكسية بدأت بسخطه على القرآن الكريم على حد تعبيره ثم بامتناعه عن الصلاة، وانتهاء بكفره الصريح، والجاهرة به، وإعلان الارتياح إليه.

(١) انظر حول تدين مصر منذ فجر التاريخ:

- ديانة مصر القديمة: أدولف إرممان، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، ود. محمد أنور شكرى.
- الدين: الدكتور محمد عبد الله دراز.
- فجر الضمير: جيمس هنري برستيد، ترجمة د. سليم حسن.
- الإسلام السياسي في مصر: الدكتور هالة مصطفى.
- مصر عرفت التوحيد من قبل إخناتون: الدكتور محمد وجب البيومي، مقال بمجلة الأزهر سبتمبر ٢٠٠٢م.

(١) لماذا أنا ملحد ص ٣.

يمكن إلا أن نبدي أسفنا للمناخ الذى أفرز هذا المرتد، ولم يحاسبه على ردتته، وقد علمنا فى الفقرة السابقة أنه لم يكن مصرياً، وأن إقامته فى مصر كانت عارضة ولم تكن تتسم بالاستقرار، فما كان أيسر أن يلفظ لفظ النواة إلا أنه لم يجد غيوراً على الإسلام يحيله إلى المحاكمة، ولا قيمة عندي - الآن - لردود الأفعال التى ستثار ضد وجهة نظرى هذه، بل إننى حزين لفرط أدب الذين احترموا هذا المرتد الذى لم يكن يستحق الاحترام، واللغة التى تحدثوا عنه بما لم تكن فى محلها على الإطلاق، وإننا لا نجد حرجاً، ولا نخشى بأساً من الحديث عنه بما يستحقه من أوصاف الردة والإحاد والمروق من الدين، يقول إمامنا الأكبر الدكتور عبد الحلیم محمود: "... إن من أقدس مقدسات الأمة الإسلامية عقيدتها.

فلنرجع بها إلى جو الفطرة الطاهرة، والشعور الصائى، والبداية الواضحة وإذا "شد" عن ذلك "شاذ" فليكن فى "القانون" ما يمكن "القضاء من رده"!!^(١)، وهذا ما كنا نتمناه

(١) د. عبد الحلیم محمود: الإسلام والعقل ص ١٠٤.

للتعامل مع هذا "الشاذ" وأمثاله من المارقين من الدين.

أما تركيا وهى المخطط الثانية فى حياة "حضرة الدكتور المرتد"، فقد زارها فى طفولته وعاش فيها فترات متقطعة من حياته كانت كما ذكرنا قد انخلت من محيطها الإسلامى، بتبنيها الخط العلماني على يد الطاغية مصطفى كمال أتاتورك، فانهارت الخلافة، وحروب الإسلام والمسلمون، ولا مجال لتفصيل القول فى ذلك، ولكن النتيجة المستخلصة من هذا التغير الجذري فى التاريخ التركى أنه كان يساعد على المجاهرة بالكفر، بل ويتيح تكوين جماعة لنشر الإلحاد على يد حضرة المارق إسماعيل أدهم!!!.

أما الاتحاد السوفيتى الذى كان المخطط الثالثة فى حياته فقد كان بمثابة عامل من عوامل تثبيت الإلحاد داخل صدره؛ لأن كل مظاهر الحياة داخل الاتحاد السوفيتى كانت تعادى الدين، وتحارب غريزة التدين، بل كانت هناك مدارس ومعاهد ومطبوعات للإلحاد، وبين أيدينا تجربة شاهد على ذلك العصر، عاش هو الآخر فى الاتحاد السوفيتى، ورصد ما فيه من مظاهر إلحادية واضحة، وهو الدكتور سعد عبد العزيز مصلوح، ونلتقط سطوراً من

شهادته، حيث يقول: "إن القول بأن" الدين أفيون الشعوب" ليس قولاً مفرضاً نسبة أعداء الماركسية إلى ماركس، بل هو قول صحيح النسبة إليه، ويقول مؤلفو كتاب "الإلحاد: تاريخه ونظريته" الصادر فى موسكو عام ١٩٧٤م: "إن قول ماركس بأن الدين أفيون الشعوب يجدد جوهر موقف الأحزاب البروليتارية بالنسبة لقضية الدين"، وهذا القول الواضح ينفي بذاته أى دعوى لتغير موقف الماركسية من الدين.

وقد أكد ماركس على أن "أى دين ما هو إلا انعكاس زائف فى أدمغة الناس للقوى الخارجية التحككية فى حياقم اليومية، وأنه انعكاس تتخذ فيه القوى الأرضية شكل قوى غير أرضية".

ويلخص كراسيكوف - من وجهة نظره- خطر الدين على المجتمع السوفيتى فيقول: "إننا مع تحطيمنا لاستغلال الإنسان للإنسان فى الاتحاد السوفيتى وهو الجذر الأصل للدين فى المجتمع الطبقي نجد أن بقايا التدين فى وعى الكادحين تقوم بدور هائل فى عرقلة تطور مجتمعتنا الشيوعية"^(١).

(١) د. سعد عبد العزيز مصلوح: المسلمون بين المظرة والسندان ص ٣٩، ٤٠ نقلاً عن مراجعته الروسية.

انظر مزيداً من التفاصيل فى:

ونواصل الاستماع إلى شهادة الدكتور مصلوح المدعومة باستنتاجاته المهمة ومنها قوله عن الدستور السوفيتى: إنه "يقوم على فصل الدين عن الدولة، وقد يحجج هنا بأن علمانية الدولة مبدأ معترف به فى معظم بلدان العالم الرأسمالى والعالم الثالث، وأن الاتحاد السوفيتى ليس بدعاً من الدول فى هذا الشأن.

غير أننا نرى أن ثمة فرقاً كبيراً بين فصل الدين عن الدولة على أساس مبدأ علمانية الدولة وبين الفصل على أساس مبدأ إلحادية الدولة.

فالدول الغربية العلمانية لا تحارب المسيحية، ولهذا فإن الخطر على الدين فى البلدان الشيوعية حيث يقوم الفصل بين

- إفلاس الفكر الماركسى: محمد عبد الفضيل القوصى.

- سقوط الحلم الشيوعى: عبد الستار الطويلة.

- تجرئ مع الماركسية: طارق حجي.

- أكذوبة اليسار الإسلامى: الدكتور مصطفى محمود.

- أبو ذر الغفارى و الشيوعية: الدكتور عبد الحلیم محمود.

- المعبود الذى هوى (آراء فى الشيوعية) مجموعة من الكتاب.

- نهاية الشيوعية: مجموعة من الكتاب: ترجمة وائل غالى.

الدين والدولة على أساس إلحادى هو أبعد أثرا وأعمق غورا.^(١)

وشهادة الذكور كلها فى غاية الأهمية، وليتنا نستطيع اقتباس فقرات مطولة منها ولكن المقام لا يساعدنا على ذلك؛ ولهذا سنقوم باختيار ما نحتاجه منها للدلالة على المناخ العام الذى كان يسود هذا البلد الذى حصل منه هذا المرتد على أعلى الشهادات.

مع الأخذ بعين الاعتبار أن إسماعيل أدهم حاول تبرير اختياره لموقفه الإلحادى بإسناده إلى قاعدة علمية، وربما يكون ذلك أثرا من آثار إقامته فى الاتحاد السوفيتى والدراسة الخاضعة للمناهج الشيوعية التى تؤدى حتما إلى الإلحاد حيث " ترى الماركسية أن النظرة العلمية مادية إلحادية بالضرورة، وأن المزيد من العلم طريق موصل إلى نبذ الألوهية، والإيمان بسيطرة الإنسان على الكون، وإلى اكتشاف القوانين المتحركة فى حركة ظواهر الطبيعة والمجتمع حيث لا مكان - فى زعمهم - لإرادة الله سبحانه.

وقد أدى ذلك عندهم إلى ضرورة دراسة جميع العلوم من منطلق إنكار

(١) المسلمون بين المطرقة والسندان ص ٤٩، ٥٠.

وجود الله تعالى، ورفض التفسير الدينى لظواهر الطبيعة والمجتمع، ومحاولة إثبات بطلانه فى مواجهة حقائق العلم.

وبذلك أخذت علوم كثيرة مثل الجيولوجيا والفلك والكيمياء والطبيعة والأدب وغير ذلك منحى إلحاديا صرفا فى دراستها وتدريسها بحيث أصبحت أداة لتمكين الإلحاد فى نفوس التلاميذ على مختلف المستويات والأعمار^(٢).

بل إن الأمر تجاوز ذلك إلى إنشاء مؤسسات للإلحاد مثل: معهد الإلحاد العلمى باكاديمية العلوم الاجتماعية، وقسم الإلحاد العلمى فى معهد جرتن للتربية، وإنشاء دور للطباعة تحت أسماء تعمل فى نفس الإطار مثل دار "الملحد" للنشر، ودار "الكافر" للنشر، وصحيفة "الكافر"، والمؤسف بل والمخزون أن الإسلام قد نال الجانب الأكبر من الهجوم عليه داخل هذه المنظومة الإلحادية الجائرة بالتجرؤ والافتراء عليه بزعم التناقض بين الإسلام وبين العلم والحضارة، وإثارة الشك فى إلهية النص القرآنى، واستخدام الفنون فى الهجوم على الإسلام والترويج للإلحاد، وقطع

(٢) السابق: ص ٦٢، ٦٣.

٣- محتاج شخصيته، وصفاته، وعلاقته بذلك بقوله: إلى الإلحاد.

ستعرف فى هذه الفقرة على بعض صفاته، وعلاقته بالإلحاد، ومفتاح شخصيته الذى نلتقى به فى آخر هذه الفقرة، ونحاول من خلال هذه المعالجة الربط بين ما يمكننا استنباطه من هذه الصفات من خلال مطالعة الأسباب التى أعلنها للتبرير للإلحاد، حيث نطالع معا ما قاله بنصه: "إن الأسباب التى دعتنى للتخلي عن الإيمان بالله الكثير منها ما هو علمى بحث، ومنها ما هو فلسفى صرف، ومنها ما هو بين بين، ومنها ما يرجع إلى يئنى وظروفى، ومنها ما يرجع إلى أسباب سيكولوجية.

وليس من شأنى فى هذا البحث أن أستفيض فى ذكر هذه الأسباب، فقد شرعت منذ وقت أضع كتابا عن عقيدتى الدينية والفلسفية، ولكن غايى هنا أن أكتفى بذكر السبب العلمى الذى دعانى للتخلي عن فكرة "الله"^(٣). ونلاحظ هنا أنه تحدث كثيرا بينما لم يقل شيئا مفيدا، اللهم إلا حديثه عما يسميه السبب العلمى الذى عبر به عن

الصلة بين الإسلام والأخلاق، وتقديم بدائل للجانب الاجتماعى من شعائر الإسلام.... إلى آخره^(٤).

وهذا ما أدى إلى ترسيخ الإلحاد داخل تكوين إسماعيل أدهم، وقد صرح هو بذلك فى قوله: "إنى خرجت عن الأديان وتخلت عن المعتقدات، وآمنت بالعلم وحده وبالمنطق العلمى....، وقد مكن ذلك الاعتقاد فى نفسى الأوساط الجامعية التى اتصلت بها"، ثم يسترسل قائلا: "... أنا ملحد، ونفسى ساكنة لهذا الإلحاد ومريحة إليه، فأنا لا أفرق من هذه الناحية عن المؤمن المتصوف فى إيمانه.

نعم لقد كان إلحادى بداءة ذى بدء مجرد فكرة تساورنى ومع الزمن خضعت لها مشاعرى، فاستولت عليها، وانتهت من كونها فكرة إلى كونها عقيدة.^(٥)

وإننى أرى أن تحول الإلحاد عنده وتطوره من فكرة إلى عقيدة قد تم فى المرحلة الزمنية الثالثة من عمره، وهى تلك التى قضاه فى الاتحاد السوفيتى.

(١) نفسه: صفحات متفرقة.

(٢) لماذا أنا ملحد؟ ص ٥.

(٣) لماذا أنا ملحد ص ٥.

موقفه الإلخادي، وهو ما سنحاول مسأيرته فيه فيما يلي من صفحات هذا المبحث، ولكننا قبل الشروع في ذلك نركز على أحد الأسباب التي ذكرها وهو ما يتعلق بالجانب النفسي، وهو ما أشار إليه باقتضاب في قوله: "ومنها ما يرجع إلى أسباب سيكولوجية"، وإن كان هو لم يفصح عنها فإننا نحاول إلقاء الضوء عليها من خلال بعض الإشارات الواردة في حديث من تناولوه بالذكر، فيها هي الأستاذة صافي ناز كاظم تصفه "بالمخبول"، وما هو الأستاذ فتحي محمود يصفه بأنه "مضطرب نفسياً" كما ذكرنا في المبحث السابق، كما يقول عنه الأستاذ رجاء النقاش: "المعروف عن "إسماعيل أدهم" أنه كان كثير الأوهام، وأن الغموض يملأ حياته الشخصية وحياته العلمية، وقد ادعى أنه حائز على شهادة الدكتوراه من روسيا، وأنه أستاذ في الجامعات الروسية، وأنه عضو بالأكاديميات العلمية في عدد من عواصم أوروبا، ويرى كثير من الباحثين أن هذه الدرجات والمناصب العلمية التي ادعاهما لنفسه كانت أوهاما في أوهام، وأنها جميعا لا أصل لها من الحقيقة، وأنه

كان كاذبا "ونصابا" فيما نسب إلى نفسه من ألقاب علمية مختلفة (١)".

ولأستاذنا الدكتور محمد إبراهيم الفيومي نظرة جديدة بالتسجيل للإنسان الذي اختار عدم الإيمان بنفسي منها هذه السطور التي تصلح للإشارة بها إلى موقف إسماعيل أدهم وفيها يقول: "... لعدم الإيمان على المسرى النفسي: يؤدي إلى تشويش في الرؤية نحو غد الآخرة، هذا من حيث مسرى الإنسان النفسي.

ومن ناحية عضويته في الهيئة الاجتماعية: فهو مهدد بالطرد منها، وغير مشهود له بالعدالة، وقد تئدى بعض الهيئات الاجتماعية بحل دمه، فلا رفق ولا لين مع مريض الإيمان، لأن هذا المرض الذي يلم بصاحبه تنتشر عدواه في المجتمع، وهو من الأمراض الخبيثة التي يرى المجتمع أنه يجب عليه مكافحتها، ويحجر على من في قلوبهم زيغ مخالفة الفتن.

أما من حيث صلته بترائه التاريخي: فهو بموقفه الرافض للإيمان يشق عصا طاعة ترائه، وتلك وصمات سباط قاسية

(١) رجاء النقاش: طه حسين في قصص الألقاب، ص ١٦١، مقال منشور بمجلة الهلال مايو ١٩٧٧ م.

الكون الذي يعيش فيه، فهو الشذوذ وليس هو القاعدة في الحياة الإنسانية، وفي الظواهر الطبيعية (٢).

فإذا عدنا من هذه الشهادات الصالحة للتطبيق على الملحدين بصفة عامة إلى الملحد الذي تعامل معه الآن وجدنا أنه من السهولة بمكان تزييلها عليه، والتعرف من خلالها على مفتاح شخصيته، وهو الفرور الذي ليس له ما يبرره سوى أوهامه التي سيطرت عليه، وظل طول عمره خاضعا لها، ولنقرأ ما كتبه عن نفسه في معرض نقله عبارة لهنري بوانكاريه عن الصدفة يقول فيها: "إن الصدفة تخص جهلنا بالأسباب والركون للمصادفة اعتراف بالقصور عن تعرف هذه الأسباب، ثم يعلق عليها قائلا: "والواقع أن كل العلماء يتفقون مع بوانكاريه في اعتقاده منذ تفتح العقل الإنساني، غير أني من وجهة رياضية أجد للصدفة معنى غير هذا معنى دقيقا بث للمرة الأولى في تاريخ الفكر الإنساني، وهذا المعنى لا تؤتي الألفاظ العادية للتعبير عنه" (٣).

يتعرض لها من يزور عن الإيمان ويجهر بازوراره" (١).

ونستأنس في سياقنا هذا بشهادة الشيخ محمد الغزالي التي يقول فيها: "إن غرور الجاحدين بما لديهم من ظاهر العلم لا يلقى لدى إلا الاحتقار والمقت، وما أعد منكرو الألوهية إلا أشباه دواب مهما كانت حصيلتهم من العلوم، ومكانتهم على هذا التراب.

وإذا كان الإلحاد عامة تزرى بصاحبها على هذا النحو فكيف إذا كان صاحبها داعية لجهالته متحمسا لها (٢)".

ثم يشخص الإلحاد من جديد في سياق آخر بقوله: "الإلحاد يوجد على أنه عوج فكري، أو خلل نفسي، أو انحراف فردي، أو جهل موقوت، أو غفلة عامة على أسوأ الأحوال" (٣).

وليس بعيدا عن هذه الصفات ما ارتآه الأستاذ العقاد في الإنسان غير المؤمن بأنه إنسان "غير طبيعي" فيما نحسه من حرته واضطرابه ويأسه وانعزاله عن

(١) د. محمد إبراهيم الفيومي: في الفكر الديني الجاهلي ص ١٢.

(٢) الشيخ محمد الغزالي: الإسلام في وجه الزحف الآخر ص ٦.

(٣) السابق: ص ٤٠.

(٤) الأستاذ عباس محمود العقاد: الله ص ٢٤١.

(٥) لماذا أنا ملحد: ص ٧.

فهذا المغرور يرى اتفاق كل العلماء حول معنى الصدفة إلا أنه وجد لها معنى آخر للمرة الأولى في تاريخ الفكر الإنساني ثم أفلت من ذكره صراحة لأن الألفاظ العادية لا تمكنه من التعبير عنه كما يزعم، وهى سمعة ماركسية أشار إليها الدكتور يحيى هاشم بقوله عن الماركسيين: "إن عيد المادة عندما يجلبون صعوبة في التعبير عن إلههم يعتذرون بمثل ما يعتذر به المؤمنون بالله من ضيق وعاء اللغة البشرية عن استيعاب حقائق الألوهية"^(١)، وما زلنا مع الإطلاقات العريضة التى تشي بتضخيم الذات عند هذا المرتد، وفى ذلك نقراً سطوراً يقف فيها موقف عدائنا من سنة سيدنا رسول الله ﷺ، وفى ذلك يقول: "الاختلاق وصل فعلا إلى الإسناد، فكلم من حديث نطمئن إليه بدعوى صحة سنده، وفى الواقع إن هذا الاطمئنان ضعف فى النظر، فمن يدرينى أن الاختلاق لم يصل إلى الإسناد؟ ومن يدرينى أن الحديث ليس مختلفاً مع إسناده؟

مسألة هامة كل الأهمية لم تطرأ على بال أحد، وبقيت فى جوف الزمان إلى اليوم"^(٢) أرأيت إلى أى مدى وصل غروره؟ وصل إلى الادعاء باختلاق الحديث سنداً ومتمناً أو رواية ودراية ولم يكتشف ذلك إلا هو بعقريته الباهرة، أو عدائته الفاجرة إن أردنا الوصف الدقيق.

٤- أسرة إسماعيل أدهم

رغم معرفتنا بمكان ولادته بالإسكندرية إلا أنه ليس مصرياً، كما أنه ليس عريباً، فأبوه تركى وأمه ألمانية، فهو يقول عن أبيه: "...أتى والدى إلى الآستانة وقد وضعت الحرب أوزارها، ودخل الحلفاء الآستانة، ولكن لم يبق كثيراً حيث غادرها مع مصطفى كمال إلى الأناضول ليبدأ مع زعماء الحركة الاستقلالية حركتهم"^(٣)، ونحن ما زلنا نذكر من حديث الزركلى عن أبيه أنه كان ضابطاً بالجيش التركى، وهذا يفسر سر انتقاله مع أتاتورك إلى الأناضول، فإذا عدنا إلى الوراء للبحث فى جذور العائلة لم نجد أمامنا إلا المعلومات القليلة

(٢) إسماعيل أدهم: من مصادر التاريخ الإسلامى

ص ٢٠، ٢١.

(٣) لماذا أنا ملحد؟، ص ٣.

وإننا لم نبرأ بعد من التفسير الماركسى للتاريخ حتى يراود منا الإيمان بالتفسير الغربى له؛ لطمس الهوية واجتثاث الجذور، وتوجيه المستقبل لصالح أعدائنا.

ونعود إلى أسرة إسماعيل أدهم لنعلم أنه كان الابن الثالث لأبويه بعد شقيقته، ونأتى على أخطر ميراث للأبناء عن الآباء، فقد ورث إسماعيل الإسلام عن أبيه، بينما تابعت الابنتان ديانة أمهما، وكان أبوه دائم الأسفار؛ ومن هنا فقد عهد به إلى زوج عمته؛ ولهذا كان يعانى من ازدواجية دينية، وبما أدى إلى هذه الازدواجية فى شخصيته أنه كان بالإضافة إلى التردد على الكنيسة مع أخيه كل أحد كان يذهب إلى المسجد مع زوج عمته لأداء صلاة الجمعة، وصلاة الصلوات فى شهر رمضان، فضلاً عن صيام هذا الشهر الكريم، وفيما يبدو أنه كان يصنع ذلك كله مضطراً دون اقتناع بدليل سرعة قيامه بالمرور من الإسلام، والاستعلان بإلحاده.

٥- إلمامه باللغات الأجنبية:

يعترف إسماعيل أدهم بأنه تعلم اللغة العربية على يد زوج عمته، وتعلم

التي أوردها الزركلى عن أجداده، فجده لأنه كان معلماً للغة التركية فى جامعة برلين، ومن هنا لا ندرى كيف التقى أبواه، هل جاء جده مع أسرته إلى تركيا بحكم تخصصه فى لغتها وتم اللقاء؟ أم سافر أبوه إلى برلين والتقى بأمه وتزوجها هناك؟ لا علم لنا بذلك فالمسألة داخل دائرة الاحتمالات والفروض.

أما عن سر ارتباط هذه الأسرة بمصر فيفسره المنصب الرفيع الذى شغله جد أبيه كمدير لديوان المدارس المصرية فى عهد محمد على، وإننا نتساءل: ألم يكن من بين المصريين من لديه الكفاءة لشغل هذا المنصب؟ أم أن قدر المصريين أن يتولى أمورهم أغراب عنهم وخصوصاً فى أخطر دوائر الحياة وهو حقل التعليم؟ وكان ذلك واضحاً أيام بعثة مصر للخلافة العثمانية، والاستعمار الإنجليزى، وحق هذه اللحظة رغم حرية مصر واستقلالها يحاول الغرب التدخل لإصلاح مناهج التعليم فيها لتتناسب مع الرؤية الغربية وخصوصاً فى دائرة الصراع بين المسلمين وبين بنى إسرائيل حول القضية المخورية فلسطين.

الألمانية والتركية على يد شقيقتيه^(١)، وقد جاء اعترافه هذا في رسالة "لماذا أنا ملحد؟"، بيد أنه ذكر في مؤلف آخر نشره قبل هذه الرسالة بعام أنه يعرف عدداً أكبر من اللغات، وفي ذلك يقول بالحرف الواحد: "... فددقت معظم المصادر العربية والتركية والفارسية مخطوطة ومطبوعة في دور الكتب بمختلف أمصار أوروبا وآسيا وأفريقيا، وراجعت جل ما كتبه المستشرقون بالألمانية والروسية والإيطالية والإنجليزية والفرنسية..."^(٢)، وقد جاء في البرنامج الإذاعي الذي سبقت الإشارة إليه أنه يحسن التحدث بست لغات^(٣)، وربما يأتي هذا التضارب بسبب اتصافه بالكذب، وقد وصمه بذلك رجاء النقاش كما استشهدنا فيما سبق برأيه في هذا الملحد الذي لعله لم يع الحكمة العربية التي تقول: إذا كنت كذوباً فكن ذكوراً.

٦- مطالعته ومؤلفاته:

لا أستطيع كتمان دهشني من هذه الشخصية العجيبة، وقد ذكرنا في الفقرة

(١) السابق: نفسه.

(٢) من مصادر التاريخ الإسلامي ص ٤.

(٣) سليمان الحراشي: انتحار ملحد ص ١.

السابقة زعمه بالقيام بتدقيق معظم المصادر باللغات: العربية والتركية والفارسية، سواء أكانت مخطوطة أم مطبوعة في أمصار ثلاث قارات: أوروبا وآسيا وأفريقيا كما راجع جل إنتاج المستشرقين باللغات: الألمانية والروسية والإيطالية والإنجليزية والفرنسية، فهل يمكننا تصديق هذه الادعاءات من شخص لم يقدر له أن يعيش سوى تسعة وعشرين سنة فقط، في أسرة غير مستقرة لأبوين مختلفين في الديانة، والأب دائم السفر، والأم غادرت الدنيا ورضيعها في عامه الثاني من العمر غير المبارك، فإذا أضفنا إلى ذلك أنه كان دائم التنقل وذكر لنا ثلاث محطات في حياته: مصر وتركيا، وروسيا، مع ملاحظة حصوله على درجتين للدكتوراه في عام واحد ١٩٣٣م كما ذكر ذلك في رسالة "لماذا أنا ملحد؟"، وليس في عام ١٩٣١ كما جاء في الأعلام للزركلي، وموضوع الرسالة الأولى في الرياضيات البحتة، وموضوع الرسالة الثانية في الطبيعيات النظرية، وقد حصل عليهما وهو في الثانية والعشرين، فإذا صح هذا فتحن إذن أمام ظاهرة من الظواهر غير المعتادة، وهذا ما لا أصله، ولا يطمئن إليه قلبي، لماذا؟

لأنه وصل موسكو في عام ١٩٣١م أي أنه مكث طالباً في جامعتها حولين كاملين أنجز فيهما رسالتين في موضوعين من أعقد الموضوعات، فهل هذا معقول؟!؟

فأين الدراسات التمهيدية للتسجيل لدرجتي الدكتوراه؟ وما هو المبدأ الزمني الأدنى لمناقشة الرسالة بعد إعدادها؟ وما هي القواعد الأكاديمية المنظمة لذلك كله؟

لابد من التذكير بسماته الشخصية التي سبق أن نوها بها من أنه كان كثير الوهم، وكان كذاباً ومغروراً، والذي يضيف مزيداً من التأكيد على هذه السمات قوله عن نفسه: "فكرت أن أضع كتاباً عن حياة محمد ونشأة الإسلام، وبالفعل مضيت في المشروع إلى حد ليس باليسير، وبأن في أن الكتاب الذي فكرت في وضعه لن يخرج في أقل من ستة مجلدات ضخمة في نحو الثلاثة آلاف صفحة، وما انتهت إليه مجلد ضخيم في خمسمائة صفحة"^(١)، ثم انتهى به الأمر إلى القيام بنشر أقل من أربعين صفحة مليئة بالافتراءات والحق على

(١) من مصادر التاريخ الإسلامي ص ٤، ٥.

الإسلام الذي تمثل في الطعن في السنة النبوية المطهرة وهي الرسالة التي نشرها تحت عنوان "من مصادر التاريخ الإسلامي"، وقد صادرها الحكومة^(٢)، فأين مناخ الحرية الذي يتباكي عليه المفرضون؟، ولكن الأمر المثير للاستغراب هو تراخي الحكومة عن مصادرة الرسالة الأخطر لذلك المرتد، وهي التي نشرها بعد الرسالة المصادرة بعام أي في ١٩٣٧م، فهل تعرضت الحكومة لضغوط خارجية لإغماض الأعين والتغاضي عن نشر الإلحاد والترويج له؟، لا نملك الإجابة اليقينية على ذلك، ولكن كسل الاحتمالات واردة، وخصوصاً وقد كانت مصر آنذ خاضعة للاستعمار الإنجليزي، ومن شأن الاستعمار في كل زمان ومكان التشجيع على وأد العقيدة الدينية، وقتل الحمية الوطنية، فضلاً عن طمس الهوية، ونشر الفتن الطائفية، وإحياء النعرات القومية.. إلى غير ذلك من الدواهي والرزايا، وما يساعد على بلوغ هذه الأغراض، وتحقيق هذه الأهداف أو بعضها ترك الساحة مفتوحة، والمناخ متاحاً للترويج

(٢) الأعلام ١/٣١٠.

للإخاد، وربما يكون هذا هو سر ترك رسالة "لماذا أنا ملحد؟" دون مصادرة.

وقد دلنا الدكتور إبراهيم عوض على أبحاث أخرى لهذا الملحد عن أدب توفيق الحكيم، وعن جميل صدقي الزهاوي، وعن خليل مطران^(١)، والآن من حقنا أن نتساءل ما علاقة تخصصه في الرياضيات البحتة والطبيعات النظرية بالكتابة في الإسلام؟ وكيف وجد الوقت الكافي لكثرة الأسفار في مختلف الأمصار، والخروج بهذا القدر الضخم من المطالعات والمراجعات والمؤلفات الموسوعية؟

وقد استرعى انتباهي أنه كان يقوم بالترويج لبيع مؤلفاته بنفسه من خلال التنويه بطابعاتها وكيفية الاشتراك لشرائها على أقساط شهرية ترسل على عنوانه بالإسكندرية، والملاحظ في هذه الإعلانات المبالغة القريبة من ضفاف الكذب، ومن ذلك ما أورده تحت عنوان: حياة محمد ونشأة الإسلام ٦ أجزاء في ٣٠٠٠ صفحة عن قريب (يناير ١٩٣٧م) الجزء الأول في ٥٠٠

(١) د. إبراهيم عوض: إسماعيل أدهم ذلك المغرور المنتحر ص ١٢، ١٣، نقلا عن موقع: <http://al-shaab.org>

صفحة من القطع الكبير، ثم يذكر لبذة عن موضوع الكتاب، نلتقط منها هذه السطور: "... يتكر الكاتب فكرة ذهاب إبراهيم إلى الحجاز مع ابنه إسماعيل ونشأة العرب المستعربة من نسله.

ومن كل هذا يتطرق إلى مصادر حياة الرسول بالنقد ويدعى اضطراب أصول علم الحديث، وقواعد السيرة ويتناول القرآن بحث ضاف في جمع وترتيبه وتدوينه.

ويبحث في علم الأنساب من وجهة عامة، ثم ينقد نسب الرسول ويزعم أنه لم يكن من نسل عبد المطلب^(٢).

والذي يعينا الآن هو غزارة إنتاج بصورة تبث على الرية، وتدلج إلى الشك، وخصوصا ونحن نفقد هذه المؤلفات، ونكرر التساؤل: هل قام بطبع هذه المجلدات فعلا ولكنها لم تصل إلينا؟ أم لم يقم بطابعها؟ ولكنه اكتفى بالإعلان عنها فقط.

ومهما يكن من أمر فإن الذي يستريح إليه الصدر، ويطمئن إليه الفؤاد أن هذا الشاب كان يعد إعدادا واضحا لأداء دور مشبه في الكيد للإسلام،

(٢) من مصادر التاريخ الإسلامي ص ٥٠.

الآستانة... وفي هذه الفترة قرأت لدارون: أصل الأنواع وأصل الإنسان، وخرجت من قرائتهما مؤمنا بالتطور^(١).

قد تكون هذه هي البداية الرئيسية لقصة مرقه من الدين، وهو ما يزال غضا طريا ضعيف التكوين، ولكن اللات للنظر هو مطالعته لكاتب دارون مما يجعلنا نتساءل: هل كانت قراءته لكاتب دارون من اختياره هو؟ أم فرضت عليه؟

إذا لاحظنا أنه بدأ هذه المطالعة وهو في الثامنة من عمره فكيف يستقيم لنا فهم أنه أتم حفظ القرآن وتجويده وهو في العاشرة؟ وهل توازت قراءته لإنتاج دارون مع تلاوته لكتاب الله؟

ما علينا من ذلك فنحن على يقين من كذبه كما أسلفنا، فإذا عدنا إلى أقواله عن قراءاته في هذه الفترة ألفيناه يذكر أنه قرأ لكثير من كبار الفلاسفة والطبيين الغربيين، ومن أشهرهم: هكسلي وهيكلي، وديكارت وهوبس وهيوم وهو في الثالثة عشرة، ثم قرأ لبوانكاريه ولوباشفسكي وهو في الرابعة عشرة من عمره.

(١) لماذا أنا ملحد: ص ٣.

وليس أدل على ذلك من تقلبه في هذه اليناث وتركه بصمة سوداء في كل منها.

٧- خلفيته الثقافية.

لا غنى لنا في مطلع هذه الفقرة عن التذكير بما ورد من معلومات بشأن أسفاره، ومطالعاته، ومؤلفاته، واللغات التي كان يتقنها، وذلك كله يسر لنا الولوج في خلفيته الثقافية لإلقاء الأضواء على مكونات شخصيته، وروافدها، وما دور هذه المكونات في وصوله إلى الإخاد، كما أننا نحلر مقدما عما يصادفه القارئ من تداخل بين هذه الفقرة وبين الفقرة السابقة.

ولا مفر من العودة إلى كلام إسماعيل نفسه للتعرف على بدايته مع القراء في مكتبة والده التي كانت مشحونة بآلاف الكتب على حد تعبيره لنعلم أنه بدأ المطالعة في سن مبكرة، حيث طالع وهو ابن الثامنة إنتاج الشعراء والروائيين الأتراك وخصوصا المشاهير منهم، ثم قرأ للبزرك وجي دي موباسان وهيجو من الغربيين، ثم ينتقل بنا إلى تركيا لتبدأ فترة أخرى من حياته يقول عنها: "... ظلمت أربع سنوات من سنة ١٩١٩م إلى ١٩٢٣م في

وستقوم بعد قليل بإلقاء الأضواء على أفكار بعض هؤلاء الأعلام، ولكن بعد أن نعرف القارئ باللحظة التي أعلن فيها الثورة على الدين، وكانت أمام والده المتهم عنده بالتعصب للإسلام، وفي ذلك يقول: "...توقف خط دراستي برجوع والدي من الآستانة ونزوحه إلى مصر واصطحابه إلي، وهناك في الإسكندرية خطوت أيام مراهقتي، ولكن أبي كان لا يعترف لي بحق تفكيري، ووضع أساس عقيدتي المستقلة، فكان يفرض على الإسلام والقياس بشعائره فرضاً، وأذكر يوماً أن ثرت على هذه الحالة، وامتنعت عن الصلاة وقلت له: إنني لست بمؤمن، أنا داروني أؤمن بالنشوء والارتقاء"^(١).

وعلى طريقة كتاب السيناريو: اختار هذا الابن العاق أباه ليعلن عن إلهاده أمامه، ثم اختار مصر ليجاهر بكفره فيها، هذا عن المكان فماذا عن الزمان؟

الزمان يقع بين عام ١٩٢٣م تاريخ عودته من تركيا إلى مصر وعام ١٩٢٧م تاريخ عودته إلى تركيا لاستكمال

دراسته الجامعية بما يفيد أنه أعلن إلهاده في منتصف العقد الثاني من عمره، ولا مفر لنا من الاستنتاج لعدم قيامه بذكر تاريخ إعلان ثورته على الإسلام في حضرة أبيه رغم ولوعه بتسجيل الأحداث باليوم والشهر والسنة في كثير من كتاباته.

٨- أصل الطين فرامله إسماعيل أحده وتأثيره.

في بداية هذه الفقرة نعرف بعدم إمكانية المسح الشامل لإنتاج العلماء والفلاسفة الذين ساهموا بشكل أو بآخر في التكوين الثقافي لإسماعيل أدهم، لاستحالة ذلك في بحث مركز كهذا الذي نقوم بصياغته الآن، ورغم ذلك فإننا سنقوم بإلقاء بعض الأضواء الكاشفة على أهم الأفكار وأخطرها والتي من شأنها التأدي بالتأثيرين هما إلى المروق من الدين، ومنختار نماذج من طالع إنتاجهم وتأثيره في مسيرته الفكرية على النحو التالي:

أولاً: دارون:-

هو تشارلز دارون عالم الطبيعة الإنجليزي المشهور الذي ولد في عام ١٨٠٩م وتوفي عام ١٨٨٢م، هو الذي أقام مذهب التطور، وتكفل بشرحه

تسلسل من صورة كانت موجودة من قبل ثم انقرضت، ثم قام بتطبيق نظريته على الإنسان حيث أعلن صراحة أن الإنسان تطور من نوع سابق له من الكائنات، وقال: إن الفرق بين الإنسان والحيوان فرق بالكم أو بالدرجة فقط.^(٢)

ولا يسعنا المقام أن نفصل القول في هذا المذهب الذي كانت له آثاره التدميرية على عقائد أهل الأديان السماوية، بل كان معول هدم لضرب عقائد المتدينين.

ثانياً: هكسلي:

يعتبر جوليان هكسلي الذي ولد في عام ١٧٦٠م وتوفي عام ١٨٣٥م أشد تأثيراً، وأعظم خطراً من دارون في تكوين شخصية إسماعيل أدهم وتكوين أمر الدين لديه، ويسير المروق منه عليه لأنه كان فاجراً في إلهاده فاسقاً في سلوكه، بل كان يجاهر بآرائه الإلحادية، ويفاخر بأنه كافر ملحد، بل كان يزعم أن العلم ينكر وجود الله محاولاً دعم آرائه الإلحادية بمغالطات علمية؛ ولهذا، ألف كتابه: "الإنسان يقوم وحده"؛

وبسطه حتى نسب إليه، ولما كان أدهم قد اعترف بأنه قرأ كتابه "أصل الأنواع" و "أصل الإنسان" في طفولته فإننا نقوم الآن بالتعريف بأهم الأفكار الواردة في كل منهما:

أ- أصل الأنواع: أخرج دارون كتابه هذا في عام ١٨٥٩م، وضمه أربعة قوانين طبيعية هي:

- _ تنازع البقاء.
- _ تكون التباينات أو تغير الأفراد.
- _ الوراثة، وبواسطتها تنتقل هذه التغيرات أو التباينات في النسل.
- _ الانتخاب الطبيعي، بمعنى أن الطبيعة تنتخب المتغير من هذه الأفراد والذي يكون له بعض أفضلية^(١).

ب- أصل الإنسان:

لم يتعرض دارون في كتابه "أصل الأنواع" لأصل الإنسان ونشأته إلا على سبيل التلميح والإشارة في آخر فصل فيه، ثم أخرج كتابه الذي تناول فيه أصل الإنسان في عام ١٨٧١م، وحدد هدفه في مقدمته التي أراد منها: النظر فيما إذا كان الإنسان كبقية الأنواع قد

(١) د. صلاح عبد العليم: الإنسان في القرآن الكريم: المبدأ والمصير ١/١٦٤.

(٢) السابق: ص ١٦٩، ١٧٠ بتصرف.

ليوهم القراء بأن العلم والإيمان نقيضان لا يجتمعان^(١)، بيد أننا تعرفنا على هكسلي آخر هو توماس (١٨٢٥-١٨٩٥م) الذي يعتبر من أشهر القائلين بالتطور، وأكثرهم ضجيجا ومهاترة، فقد كان يؤمن بالتولد الذاتي إيمانا قويا حيث زعم أنه توصل إلى مادة تعد حلقة الانتقال من الجماد إلى عالم الحياة ثم أعلن عن تراجعه لأنه تسبب في تضليل الكثيرين من الذين اعتمدوا على شهرته^(٢)، ومواء أكان هكسلي هذا أم هكسلي ذاك حيث لم يحدد لنا لمن قرأ منهما ذلك الملحد فتأثيرهما واضح عليه لكفرهما الصريح. وقد قام العلماء بالرد على جوليان هكسلي، ومن أبرزهم كريسي موريسون الذي وضع كتابا في الرد عليه جعل عنوانه "الإنسان لا يقوم وحده" أثبت فيه بمختلف العلوم أن الله بارئ الكون وهو خالق كل شيء^(٣).

(١) كريسي موريسون: العلم يدعو إلى الإيمان ص ١٧ ترجمة محمود صالح الفلكي.

(٢) د. أحمد عبده حمودة الجمل: في المذاهب المعاصرة، ص ١٨٦.

(٣) العلم يدعو إلى الإيمان ص ١٨ من مقدمة المترجم.

ثالثا: هيكل:

أرنت هيكل الذي ولد في عام ١٨٣٤م وتوفي عام ١٩١٩م الذي يزعم أن الحياة ترجع إلى أصل واحد هو "المونيرا" التي تركبت اتفاقا من الآزوت والهيدروجين والأكسجين والكربون ثم تطورت على التوالي حتى تكونت جميع الكائنات الحية، وقد حول نظرية دارون إلى نظرية مادية إلحادية متطرفة^(١)، ومن أخطر الأفكار التي تبناها هيكل فكرة التولد الذاتي التي قال بها توماس هكسلي وهي فكرة مرلوضة؛ لأنها تصطدم مع الرؤية الدينية لبدء الحياة وخصوصا في الطرح الإسلامي، حيث تقوم هذه الفكرة التي يزعمون علميتها بالقطع بين البشاق الحياة وبين مصدرها الأصل وهو الحق تبارك وتعالى، وهو أحد الأهداف الرئيسة عند التطوريين، وقد بلغ من فجور هيكل هذا أن قال: "أعطني هواء ومواد كيميائية ووقتا وأنا أصنع إنسانا"، ولكنه أغفل وحدات الوراثة "الجينات"، وأغفل الحياة نفسها. لقد كان عليه - لو استطاع - أن يجد وينظم الذرات غير المرئية والجينات

(٤) في المذاهب المعاصرة ص ١٨٦.

غير نهاية، فلم لا نغد المادة نفسها إلى غير نهاية فنعتبرها الله؟

وبأى حق نفترض الكون كلا محدودا حتى نبحث له عن علة مفارقة؟ وأخيرا إن وجود الشر يعارض القول بالعناية الإلهية^(١).

وهذه الأضاليل التي نعق بها هيوم للتشكيك في وجود الله تعالى عن طريق قيامه بالتعرض بالنقد لأدلة وجوده يستبين لنا الدافع الذي أعلنه أدهم عن قرب هيوم من نفسه؛ لأنه كان محركا قويا لاستبات بذور الإلحاد داخل تكوينه، علما بأن هناك آخرين من علماء الطبيعة والرياضيات والفلاسفة غير هؤلاء كان قد أعلن أنه قرأ لهم إلا أننا اكتفينا هؤلاء رغبة في الإنجاز، وفيما ذكرناه ما يقى بالغرض الذي نتوخاه من هذه اللمحات السريعة عن اتجاهاتهم الرئيسية وأهم أفكارهم، والذي نختم به هذه الفقرة هو ما ذكرناه في ثناياها من تحيازه إلى الدين تبنا الاتجاه الإلحادي في مذاهبهم، فاختر الكفر على الإيمان، وأعلن الإلحاد مذهباً له، بل زعم ارتياعه

"إن دليل الغائية المشهور قائم على تمثيل الكون بآلة صناعية وتمثيل الله بالصانع الإنساني، ولكن الصانع الإنساني علة محدودة تعمل في جزء محدود، فأى حق نغد التشبيه إلى هذا الكل العظيم الذي هو الكون، ونحن لا ندري إن كان متجانسا في جميع أنحاء؟ ولو سلمنا هذه المماثلة لما انتهينا حتما إلى الإله الذي يقصده أصحاب الدليل، إذ يمكن أن نستدل بما في الكون من نقص على أن الإله متاه كالصانع الإنساني، وأنه ناقص يصادف مقاومة، أو أنه جسمي يعمل بيديه.

أو يمكن أن نفترض أن الكون نتيجة تعاون جماعة من الآلهة....

أما دليل المحرك الأول: فليس هناك ما يحتم تسليمه وبطل المذهب المادى إذ قد يمكن أن تبدأ الحركة بالثقل أو بالكهرباء مثلا دون فاعل مريد.

وأما دليل الوجود الضروري فلا يستند إلى أصل في تجربتنا من حيث إن التجربة لا تعرض علينا انفعالا ضروريا، وأن المخيلة تستطيع دائما أن تسلب الوجود عن أى موجود كان.

إن معنى الوجود الضروري ثمرة وهم المخيلة التي تمد موضوع تجاربنا إلى

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة: ص ١٧٨، ١٧٩.

إليه، واطمئنانه به كما يطمئن المؤمنون إلى إيمانهم.

٩- الإلحاد عند إسماعيل أحمد: تعريفه وبواعثه.

بعد أن أعلن إسماعيل أدهم عن إلحاده، واطمئنانه إليه شرع يتساءل:

ما معنى الإلحاد؟

ثم قال في معرض الإجابة على هذا السؤال: "يجيبك لودفيج بخنر زعيم ملاحدة القرن التاسع عشر: "الإلحاد هو الجحود بالله، وعدم الإيمان بالخلود والإرادة الحرة"، والواقع أن هذا التعريف سلبى محض، ومن هنا لا أجد بدا من رفضه" (١).

ورغم فجور بخنر في إلحاده وتفوقه على دارون بأتمام مذهبه بالنقص إلا أن تعريفه لم يرق للملحد المفرور، فبخنر " هذا الملحد كشف لنا كيف نفذ بمذهب دارون إلى إنكار الخلق والخالق سبحانه وتعالى بركونه إلى نزعه المادية الإلحادية حيث قام بإسناد الحياة في "الكريمة الأولى" إلى ما يسميه بالتولد الذاتي" (٢)، وقد كانت الفكرة مطروحة بقوة في أوساط التطوريين.

(١) لماذا أنا ملحد؟ ص ٥.

(٢) الإنسان في القرآن الكريم: المبدأ والمصير ص ١/٢٠١.

وإذا كان أدهم قد أعلن رفضه لتعريف بخنر للإلحاد فما هو التعريف الذى ارتضاه؟ لنستمع إليه وهو يقول مختالا بإلحاده: والتعريف الذى أستصوبه وأراه يعبر عن عقيدتى كملحد هو: الإيمان بأن سبب الكون يتضمنه الكون في ذاته، وأن ثمة لا شئ وراء هذا العالم. ومن مزايا هذا التعريف - فيما يزعم - أن شقه الأول إيجابي محض، بينما لو أخذت وجهته السلبية لقام دليلا على عدم وجود الله، وشقه الثانى سلبى يتضمن كل ما في تعريف بخنر من معاني" (٣).

لذا عدنا إلى تعريفه وجدنا أنه يتضمن بشطريه الكفر الصريح:

- فالشطر الإيجابي رغم اعترافه بالسببية إلا أنه يجعلها داخلية، وينفى بذلك السبب الخارجى لخلق العالم؛ وبذلك يقطع الصلة بين المخلوق والخالق، بل ينفى الخالق عز وجل، ولم يأت المفرور الكاذب في ذلك بمجديد فهذه هي وجهة نظر الفلسفة المادية منذ فجر التاريخ وحتى الآن.

- والشطر السلبى الذى ينكر له عالم الغيب أو الميتافيزيقا لم يأت فيه

(٣) لماذا أنا ملحد؟ ص ٥.

غير نهاية، فلم لا نغد المادة نفسها إلى غير نهاية فنعتبرها الله؟

وبأى حق نفترض الكون كلا محدودا حتى نبحث له عن علة مفارقة؟ وأخيرا إن وجود الشر يعارض القول بالعناية الإلهية" (١).

وهذه الأضاليل التى نعى بها هيوم للتشكيك في وجود الله تعالى عن طريق قيامه بالتعرض بالنقد لأدلة وجوده يستبين لنا الدافع الذى أعلنه أدهم عن قرب هيوم من نفسه؛ لأنه كان محركا قويا لاستببات بدور الإلحاد داخل تكوينه، علما بأن هناك آخرين من علماء الطبيعة والرياضيات والفلاسفة غير هؤلاء كان قد أعلن أنه قرأ لهم إلا أننا اكتفينا هؤلاء رغبة في الإنجاز، وفيما ذكرناه ما يقى بالغرض الذى نتوخاه من هذه اللمحات السريعة عن اتجاهاتكم الرئيسية وأهم أفكارهم، والذي نختم به هذه الفقرة هو ما ذكرناه في ثنائها من انحيازهم إلى الذين تبوأ الاتجاه الإلحادى في مذاهبهم، فاختار الكفر على الإيمان، وأعلن الإلحاد مذهباً له، بل زعم ارتياعه

"إن دليل الغائية المشهور قائم على تمثيل الكون بآلة صناعية وتمثيل الله بالصانع الإنسانى، ولكن الصانع الإنسانى علة محدودة تعمل في جزء محدود، فبأى حق نغد التشبيه إلى هذا الكل العظيم الذى هو الكون، ونحن لا ندري إن كان متجانسا في جميع أحواله؟

ولو سلمنا هذه المماثلة لما انتهينا حتما إلى الإله الذى يقصده أصحاب الدليل، إذ يمكن أن نستدل بما في الكون من نقص على أن الإله متناه كالصانع الإنسانى، وأنه ناقص يصادف مقاومة، أو أنه جسمى يعمل بيديه.

أو يمكن أن نفترض أن الكون نتيجة تعاون جماعة من الآلهة....

أما دليل المحرك الأول: فليس هناك ما يحتم تسليمه ونبذ المذهب المادى إذ قد يمكن أن تبدأ الحركة بالثقل أو بالكهرباء مثلا دون فاعل مريد.

وأما دليل الوجود الضرورى فلا يستند إلى أصل في تجربتنا من حيث إن التجربة لا تعرض علينا انفعالا ضروريا، وأن المخيلة تستطيع دائما أن تسلب الوجود عن أى موجود كان.

إن معنى الوجود الضرورى ثمرة وهم المخيلة التى تمد موضوع تجاربنا إلى

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة: ص ١٧٨، ١٧٩.

إليه، واطمئنانه به كما يطمئن المؤمنون إلى إيمانهم.

٩- الإلحاد محمد إسماعيل أحمد: تعريفه وبواعثه.

بعد أن أعلن إسماعيل أدهم عن إلحاده، واطمئنانه إليه شرع يتساءل:

ما معنى الإلحاد؟

ثم قال في معرض الإجابة على هذا السؤال: "يجيبك لودفيج بخنر زعيم ملاحدة القرن التاسع عشر: "الإلحاد هو الجحود بالله، وعدم الإيمان بالخلود والإرادة الحرة"، والواقع أن هذا التعريف سلبى محض، ومن هنا لا أجد بدا من رفضه" (١).

ورغم فجور بخنر في إلحاده وتفوقه على دارون بأفهام مذهبه بالنقص إلا أن تعريفه لم يرق للملحد المفرور، فبخنر " هذا الملحد كشف لنا كيف نفذ بمذهب دارون إلى إنكار الخلق والخالق سبحانه وتعالى بركونه إلى نزعه المادية الإلحادية حيث قام بإسناد الحياة في "الكريمة الأولى" إلى ما يسميه بالتولد الذاتي" (٢)، وقد كانت الفكرة مطروحة بقوة في أوساط التطوريين.

(١) لماذا أنا ملحد؟ ص ٥.

(٢) الإنسان في القرآن الكريم: المبدأ والمصير ص ١/٢٠١.

وإذا كان أدهم قد أعلن رفضه لتعريف بخنر للإلحاد فما هو التعريف الذي ارتضاه؟ لنستمع إليه وهو يقول مختللاً بإلحاده: والتعريف الذي أستمر به وأراه يعبر عن عقيدتي كملحد هو: الإيمان بأن سبب الكون يتضمنه الكون في ذاته، وأن ثمة لا شيء وراء هذا العالم. ومن مزايا هذا التعريف - فيما يزعم - أن شقه الأول إيجابي محض، بينما لو أخذت وجهته السلبية لقام دليلاً على عدم وجود الله، وشقه الثاني سلبى يتضمن كل ما في تعريف بخنر من معاني" (٣).

لماذا عدنا إلى تعريفه وجدنا أنه يتضمن بشطريه الكفر الصريح:

- فالشطر الإيجابي رغم اعترافه بالسببية إلا أنه يجعلها داخلية، وينفى بذلك السبب الخارجي لخلق العالم؛ وبذلك يقطع الصلة بين المخلوق والخالق، بل ينفي الخالق عز وجل، ولم يأت المفرور الكاذب في ذلك بجديد. فهذه هي وجهة نظر الفلسفة المادية منذ فجر التاريخ وحتى الآن.

- والشطر السلبي الذي يتكرر في عالم الغيب أو الميتافيزيقا لم يأت فيه

(٣) لماذا أنا ملحد؟ ص ٥.

كل ما حوله، ثم يصدر الأحكام جزافاً لا تخضع لمنطق ولا يربطها فكر سليم" (٤)، وهذا ما صنعه إسماعيل أدهم بنفسه.

وقد سبق لنا إيوارد أسباب إلحاده في الفقرة الثالثة من هذا البحث، ولكن لا مانع من التذكير بها في سياقنا هذا حيث يقول: "إن الأسباب التي دعيت للتخلي عن الإيمان بالله كثيرة، منها:

- ما هو علمي بحت.
- ومنها ما هو فلسفي صرف.
- ومنها ما هو بين بين.
- ومنها ما يرجع لبيسقي وظروفي.
- ومنها ما يرجع لأسباب سيكولوجية... (٥)

حيث أقلت من تفصيل القول فيها، ورغم ذلك فقد ركز على السبب العلمي الذي دعاه للتخلي عن فكرة الله، وإننا نلاحظ أنه لا يتحدث عن الله عز وجل إلا مضافاً لكلمة فكرة، وهو حديث لا يدل إلا على فجوره في إلحاده، ووقاحته وسوء أدبه مع رب العزة سبحانه وتعالى، وتطاوله على مقام

بجديد كذلك؛ لأن أنصار المدرسة الحسية يدينون بذلك ويتنادون به.

والآن نرى أن من حق البحث علينا أن نعرف بالإلحاد في سياقنا هنا، وفيما يلي نورد فكرة موجزة:

الإلحاد: الخد فلان: عدل عن الحق، وأدخل فيه ما ليس منه.

الخد في الدين: طعن.

الملحد: الطاعن في الدين المائل عنه.

الجمع: ملحدون وملاحدة (١).

وفي القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ (٢)، "فهم مكشوفون لعلم

الله، وهم مأخوذون بما يلحدون مهما غلطوا والتوا، وحسبوا أنهم مفلتون من يد الله كما قد يفلتون بالمغالطة من حساب الناس" (٣).

وللشيخ محمد الغزالي تعريف طريف للإلحاد يقول فيه متسائلاً: "أعرف ما هو الإلحاد؟ أن يسفه المرء نفسه، ويركب رأسه، ويغمض عينيه عن

(١) المعجم الوجيز: مادة "لحد".

(٢) سورة فصلت: الآية ٤٠.

(٣) الشيخ سيد قطب: في ظلال القرآن

(٤) الشيخ محمد الغزالي: الشهاداتتان: التوحيد

والنبوة ص ٢٣.

(٥) لماذا أنا ملحد؟ ص ٥.

الألوهية، وقد سبق لنا التعليق على السبب المرتبط بنفسيته، والآن نود التعليق على السبب المرتبط بظروفه وبيئته، بينما الأسباب العلمية أو الرياضية أو الفلسفية سترجى الحديث عنها إلى المبحث القادم.

١- محادوته للدين وخصوصاً الإسلام، وخصومته مع الوطنية، واستعلاؤه على العرب،

أما بالنسبة لعداوته للدين وخصومته مع الوطنية نكتفى بإيراد الإهداء الذى وضعه فى الصفحة الأولى فى رسالته المصادرة التى نشرها هنا فى مصر حيث يقول بالحرف الواحد:

" إلى أحرار الفكر

إلى الذين حرروا الفكر من قيوده، وجاهدوا فى سبيل تحرير العقل الإنسانى من تأثير الأساطير الدينية والمزاعم الوطنية، والذين أخذوا بيد الجماعات الإنسانية إلى الحياة الصحيحة أهدى هذا الكتيب لعلهم يجدون فيه نظرة حرة بعيدة عن تعصب الدين وجموده^(١).

لتحرير العقل الإنسانى هدف يستحق الجهاد من أجله، ولكن تحريره

(١) من مصادر التاريخ الإسلامى ص ٣.

من ماذا؟ من تأثير الأساطير الدينية والمزاعم الوطنية، ولعلنا نذكر القراء الكرام بأنه نشر هذا اللغو فى مصر، فماذا كان يريد من المصريين، ونكرر السؤال بصيغة أخرى: هل كان يريد إفساد عقائدهم، وقتل شعورهم الوطنى؟، ومن الذى كان يدعمه فى هذا التوجه الخبيث؟

ولعلنا إذا سرنا بعض الخطوات، واسترسلنا فى مطالعة كلامه عرفنا أن المقصود الأول بعداوته هو الإسلام، وليس الدين بإطلاق، أو لعله تكبيك مرحلى يهاجم فيه الإسلام أولاً، ثم يهجم على فكرة الدين عموماً، فلقد كشف نفسه منذ البداية، فكان بذلك تلميذاً صغيراً خائباً للمستشرقين الروس الذين استكتبوه هذا اللغو الفارغ، هل تحتاج منى عزيزى القارئ إلى أدلة أخرى لإثبات عداوته للإسلام، إليك هذه العبارة المباشرة التى لا يقل إغفالاً سياقها سفاهة عن الهدف الذى أشرنا إليه آنفاً حيث يقول فيها: "وإذا تضارعت كل هذه الريسوب العقلية والدلائل التاريخية كان لا مندوحة لنا من رد الحديث كله.

مخاطبا هذا المفرور بكلمة واحدة: " يا جامدا!.."، أبقى هذا الخرف فى جوف الزمان إلى اليوم حتى استخرجته أنت؟ حقا إنه استخراج الجيف المنتنة والجثث المتعفنة!!

اذن لى أن أزيدك اطلاعا على اقراءات هذا الملحد، واعذرني لو سببت لك ضيقا، أو تسببت فى إغاضتك، اقرا معى ما يفيد إصراره على هدفه، وهو الهدف الخبيث الحقير الذى وضعه فى خندق واحد مع من أطلقوا على أنفسهم لقب " القرآنيين" انتسابا إلى القرآن الكريم وهو برئ منهم، وفى ذلك يقول: " الكثرة المطلقة من الحديث ليست من كلام الرسول فى شئ، وإنما هى منتحلة بعد وفاة الرسول بنصف جيل على أقل تقدير، فالحديث يمثل حياة المدينة الإسلامية، وميول المسلمين وأهواءهم فى القرن الأول أكثر ما يمثل حياة الرسول.

وأكاد لا أشك فى أن ما بقى من الحديث قليل جدا لا يتجاوز أصابع اليد عدا، ولا يمثل شيئا ولا يدل على شئ، ولا ينبغى الاعتماد عليه فى استخراج التاريخ الصحيح للرسول، وكل ما تقرؤه فى كتب الحديث على أنه كلام النبى أو روايات تكلم بها صحابى عن

وأنت ترى من هذا البحث أن بحثنا يخالف كل المخالفة لما اتفق عليه المحدثون إذ أن كثرة الحديث فى نظرنا: ما بين مرفوض ومشكوك فيه.

وهكذا يتزلزل علم الحديث من أساسه وينهار تحت ضربات البحث التاريخى المقارن^(١).

وقد حكم بانقيار علم الحديث بعد ممارسات فجة للشك الذى استخدمه بسداجة مضحكة، اقرا معى قوله: " الاختلاق وصل فعلا إلى الإسناد، فكم من حديث نطمئن إليه بدعوى صحة سنده، وفى الواقع إن هذا الاطمئنان ضعف فى النظر، فمن يدري أن الاختلاق لم يصل إلى الإسناد؟، ومن يدري أن الحديث ليس مختلفا مع إسناده؟

مسألة هامة كل الأهمية لم تطرأ على بال أحد، وبقيت فى جوف الزمان إلى اليوم^(٢).

لا أستطيع أن أتخلى عن روح الدعابة التى ميز الله تعالى بها المصريين، وليعذرني القارئ إذا علقت باللغة العامية

(١) السابق: ص ٢٨.

(٢) من مصادر التاريخ الإسلامى، ص ٢٠، ٢١.

الرسول فإنها ليست منه في شيء، وإنما هو انتحال الرواة، واختلاق بعض الصحابة، أو صنعة التابعين، أو اختراع القصاص والمفسرين والمحدثين^(١).

(١) السابق ص ٢٢، يأتي زعم القرآنيين في العصر الحديث المارق أحمد صبحي منصور في هذا الزمان معلنا يوضح عن رفضه للسنة الصحيحة مشتركا مع هذا الملحد في منهج الدراسة، وأسلوب تناول، وكأنه اطلع على الكاره التهافتة، وفي ذلك يقول مثلا: "نحن نرى أن أحاديث البخاري وغيره لما يسمونها سنة ليست سوى ثقافة دينية تعبر عن عصرها وقائلها، وليس لها أى علاقة بالإسلام أو بنبي الإسلام؛ ولأنها ثقافة تعبر عن عصرها الوسطي، وتعكس ما ساد في هذه العصور من ظلم باسم الدين، واضطهاد باسم الدين، وحروب باسم الدين، فإن الإصلاح اليوم لابد أن يبدأ بتفكيك تلك الأحاديث وثقافتها إلى العصور التي جاءت إلينا منها". انظر جريدة الدستور: الأربعاء ١١ يوليو ٢٠٠٧م. ولا تنتهي تقاليع هذا الضال إذ بينما نكتب هذه السطور تأتينا آخر ضلالتة حيث تبجح بأنه قام بنفسه بتزويج ثلاث فتيات مسلمات من ثلاثة من الشبان النصاري وذلك في مؤتمر مشبوع عقد في شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية لمناصرة الأقباط في مصر يومي ١٩، ٢٠ أكتوبر الحالى. انظر: جريدة الأهرام: الثلاثاء ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٧م، مقال للأستاذ فتحى محمود تحت عنوان: ثورة الأقباط.

وبذلك أمسك هذا المغرور بقلب الأحرار وقام بتجريح الجميع، يستولى ذلك الصحابة والتابعون وأهل القسوس ورجال الحديث، وقد ساوى بينهم وبين القصاص!! وبذلك يجب أن لا نستغرب إذا قام بالتشكيك في نزاهة الصحابة واعتبرها زعما حيث يقول: "نحن إذ رفضنا زعم علماء الحديث بزوايا الصحابة وأجرينا عليهم ما نجري على غيرهم كنا أقرب إلى المنطق والعقل في عملنا هذا، وكنا لم نفعل أكثر من السبر ومقتضيات علم النقد الحديث"^(٢).

أما نظرتة التي اتسمت بالاستلاء على الجنس العربى فقد أشار إليها كثير من أقواله ومنها: "جاهد النبي جهاد الأبطال في لم شعث القبائل العربية وإخضاعها لسلطانه، وكان توحيد العرب ضربة أليمة لخصائص هذا الشعب، وكتباً لطبيعته المهيبة التي لا تعرف غير التشتت والتفرق سلطانا على نفسه وغير القتال والطعان والسلب والنهب طبيعة له"^(٣)، كما كان يقول: "الغزو عند العرب هو الوسيلة الرئيسية

(٢) من مصادر التاريخ الإسلامى ص ٢٣.

(٣) نفسه: ص ٣٤.

لتوزيع الثروة"^(١)، ومما يدل على ذلك أيضاً قوله عن أهل الأمم المفتوحة إنهم كانوا "أبناء تاريخ مجيد، وحضارات نليدة في مجدها فسرعان ما رأيناهم قادة المدنية الإسلامية في ساحات التفكير والحضارة؛ ذلك لأن أهل هذه الأمم أقدر على التفكير من العرب، وأعرق في الثقافة والحضارة، والظروف المواتية لتأسيس الحضارات كانت متوافرة بينهم"^(٢).

ولكن الذى تعامى عنه هذا الملحد هو الصهار الحضارات السابقة على الإسلام في حواضر البلدان غير العربية في الحضارة الإسلامية، واصطباغها بصفتها، ولوالها شرف النسبة إلى الإسلام، ولكن ذلك يشكل غصة في حلقة لا يقرى على التعبير عنها للحقد الذى يحتل قلبه.

١- نهايته بين لغز انتحاره ورجع أفتخاره،

لما يسترعى الانتباه قيام أحد مواقع الشبكة الدولية للمعلومات في هذه الأيام بنشر كراسة "لماذا أنا ملحد؟"

(١) نفسه.

(٢) من مصادر التاريخ الإسلامى ص ٣٧.

للمرتد إسماعيل أدهم، وهو موقع "اللاديين العرب"، وجاء النشر مصحوبا بإعادة تذكير متصفح الموقع برحيله منتحرا، مع الاستشهاد بآراء بعض كبار كتاب ومفكرى عصره ممن قاموا بالثناء عليه، وهذا التساؤل الذى أطلقه موقع من المواقع الإلحادية عديم الجدوى؛ لوضوح الإجابة عليه، وصيغته هي: "فهل كان شقيا تعسا إلى الدرجة التى لم تعد لديه مقدرة على التحمل والاستمرار في الحياة فبخع نفسه بيده وانتحر؟"^(١)، وهل هذا يحتاج إلى سؤال!!، وخصوصا بعد الاطلاع على الخطاب - الذى سطره بخط يده لرئيس النيابة، وعثر عليه في جيب معطفه حيث اعترف بأنه قتل نفسه بالفرق يأسا من الدنيا، وزهادة في العيش، وأوصى بتشريح رأسه، وحرق جثته، وعدم دفنه في مقابر المسلمين.

ولعل في انتحار هذا الملحد ما يجعلنا نحكم بكل ثقة بأنه كان منسجما مع خلفيته الماركسية التي تنتشر فيها ثقافة الانتحار بالخلاص من الحياة، وفي ذلك يقول الأستاذ عامر العقاد: "ومن

(٢) ويكيديا/الموسوعة الحرة.

يتبع الحركة الفكرية والأدبية في الاتحاد السوفييتي يجد أن هناك أدباء قد فضلوا الانتحار على الحياة، وحسبنا أن نذكر من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر الشاعر الروسي "مايكوفسكى" الذى يخنع نفسه وهو فى السابعة والثلاثين من العمر، والشاعر الروسي "سرجى إيسنين" الذى يخنع نفسه كذلك وهو فى الثلاثين، ثم يتساءل قائلا: "إذا كان الانتحار هو سبيل الخلاص أمام رجال الفكر فى الاتحاد السوفييتي فأين هى حرية التعبير التى يتشدد بها دعاة الشيوعية فى العالم؟^(١)، ولعلنا لاحظنا تقارب الأعمار عند الانتحار بين النموذجين اللذين اختارهما الأستاذ العقاد، وبين إسماعيل أدهم.

ولحن فى غنى عن التأكيد على المشاعر النفسية السلبية التى تغطى حياة الملحنين، وامتلائها بكل ألوان القلق والعجز والخوف واليأس مما يؤدى حتما إلى اتخاذ القرار الصعب وهو الانسحاب من الحياة، وما يؤكد ذلك ما جاء فى طرح المفكر العربى الكبير الدكتور رشدى فكار فى تعليقه على غواء

المذاهب الوضعية من وجودية وفرويدية وماركسية ومعاناة أتباعها قائلا: "إن مسلسل الانتحار لديهم أكد لنا حقيقة هذه المعاناة، كما يجعلنا نذهب إلى حد القول - وبلا مجازفة - إن المجتمعات البشرية وفى كل عصورها التاريخية ما عرفت مثل ما تعرفه الآن من انتشار للمعاناة النفسية والقلق والاضطرابات العصبية نتيجة ليس فقط لتلوث البيئة، وتزيف العلاقات الإنسانية وإنما لتلوث الأفكار والقيم الروحية والمبادئ الأخلاقية والتشكيك فى صلاحية كل شئ من أجل لا شئ"^(٢).

يبد أننا لو عدنا إلى نهاية إسماعيل أدهم وجدنا أنفسنا مضطرين لإبداء بعض علامات الاستفهام حول كيفية نهايته، هل هى نهاية طبيعية اختارها بنفسه لإنهاء حياته ياسا من الدنيا، وزهدا فى العيش كما يذكر؟، وبذلك يكون قراره شخصا فى المقام الأول تأسس على عوامل داخلية ومشاعر نفسية، أم أن هناك قوى خارجية أجبرته على هذه النهاية المفجعة؟ بعد ما أدى

(٢) د. رشدى فكار: لحات عن منهجية الحوار والتحدى الإعجازى للإسلام فى هذا العصر ص ٦٨.

المبحث الثالث

نقض تجربة إسماعيل أدهم الإلحادية

أعلن إسماعيل أدهم عن إلحاده فى مطلع رسالته باقتباس بيتين للشاعر جميل صدقى الزهاوى قال فيهما:

لما جهلت من الطبيعة أمرها
وأقمت نفسك فى مقام معلل
أثبت ربا تبغى حالا به
للمشكلات فكان أكبر مشكل
وقد ذكر الملحد أنه كتب رسالته كرد فعل لمطالعة محاضرة للدكتور أحمد ذكى أبو شادى جاءت فى خاتمة هذه الأبيات:

يا كون أنت مثالى
وفى حياتى حياتك
أست مرآة نفسى
وأنتى مرآتى
ومن جمالك روحى
وملء روحى صفاتك
أراك سرا جيلا
تبش به آياتك^(٣)

دوره وختمه بنشر رسالته "لماذا أنا ملحد؟"، فلم تعد له فائدة كشأن الخونة والعملاء، وضرورة التخلص منهم بعد انكشافهم.

وما يؤكد على أن صاحب هذا التقديم يقف مع هذا المرتد فى خندق واحد إعجابه به، وقيامه بنشر كرامته الإلحادية، وإقراره بعيشة الحياة على حد تعبته، وفى هؤلاء أمثالهم يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آتَدُوا عَلَىٰ أَذْيَرِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾^(١).

والحمد لله تعالى على هلاك هذا الملحد بهذه الكيفية التى اختارها - أو اختيرت له - ليجمع بين جبن المواجهة، وحقارة الكفر، وفظاعة الانتحار، وإصراره على الضلال حتى النفس الأخير، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

(١) سورة محمد: الآية ٢٥.

(٢) سورة يوسف: الآية ٢١.

(٣) د. جابر عصفور: التنوير يواجه الإلزام ص ٢٠.

(١) عامر العقاد: حرب الأكاذيب ص ٩١، ٩٢.

ولكن الأمر أخطر من ذلك بكثير والذي أطمئن إليه أنه قام بدور مرسوم، وما سقناه -ونسوقه- من الشواهد والقرائن يؤيد هذا، إلا أنه وجد الفرصة سانحة للجهر بإخاذه بعد المحاضرة المشار إليها.

والآن نقوم بنقد تلك التجربة الإلحادية من خلال مناقشة الأفكار الآتية:

- ١- رؤية أدهم للألوهية.
- ٢- فكرته عن السببية.
- ٣- إيمانه بالصدفة.

أولاً: رؤية إسماعيل أدهم

لقضية الألوهية:

بعد أن قام إسماعيل أدهم بإيراد بعض أسماء لفلاسفة وعلماء صنفهم ضمن اللاأدريين، وهم كانت^(١)،

(١) إمانويل كانت (١٧٢٤-١٨٠٤م) فيلسوف ألماني قام بنقد الميتافيزيقا في رسالة له بعنوان "الأساس الممكن الوحيد للبرهنة على وجود الله"، من مؤلفاته: "دراسة في وضوح مبادئ العلم الإلهي النظري والأخلاقي"، و"أحلام وأهم معبرة بأحلام الميتافيزيقا"، ورسالة في "صورة ومبادئ العالم المحسوس والعالم المعقول"، ثم أعرج كتابه الأكبر "نقد العقل الخالص النظري"، ثم وضع رسالته "مقدمة لكل ميتافيزيقا مستقبلية تريد أن تعتبر علماً"، ثم تحول إلى فلسفة الأخلاق فصنف

وهربرت مينسر^(٢)، وتوماس هكسلي^(٣) عقب على ذلك بهذا التساؤل: "هل عدم قيام الأدلة على عدم وجود الله مما يدفع المرء للاأدرية؟"^(٤)

فيها كتابين: الأول "تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق"، والثاني "نقد العقل العملي" انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة تأليف يوسف كرم ص ٢٠٨ ص ٢٦٠.

(٢) هربت مينسر (١٨٢٠-١٩٠٣م) شغل بمسألة التطور، وأول عرض له في فلسفة التطور ظهر في مقال عنوانه: "التقدم: قانونه وعلمه"، فذكره دارون في مقدمة كتابه "أصل الأنواع" بين الذين سبقوه إلى نظريته، من مؤلفاته: "البداي الأولى"، و"مبادئ البيولوجيا"، "مبادئ علم النفس"، و"مبادئ علم الاجتماع"، "مبادئ الأخلاق" وله أيضاً كتاب في التربية، وآخر في تصنيف العلوم، وآخر في ترجمته لحياته. انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة تأليف يوسف كرم ص ٣٥٦ ص ٣٦٤.

(٣) توماس هكسلي (١٨٢٥-١٨٩٥م) طبع نظرية التطور على الإنسان قبل دارون وذلك في كتابه: "مكان الإنسان في الطبيعة"، وله كتاب عن "هيوم: حياته وفلسفته"، وله "محاولات عظيمة"، سبق أن ذكرناه في سياق البحث الثاني ضمن الشخصيات التي أعلن أدهم قراءته لمؤلفاتهم وتأثره بهم. انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة تأليف يوسف كرم ص ٣٦٤، ٣٦٥.

(٤) لماذا أنا ملحد؟ ص ٦.

مباشر، وقبل التعرض لها بالتحليل والنقد نبدي الملاحظات الآتية:

١- جاء حديثه عن رب العزة تبارك وتعالى بصورة لا تليق بذاته العلية، وقد تكرر لفظ الجلالة في هذه الفقرة أربع مرات مضافاً إلى كلمة فكرة؛ وهذا فقد حصر قضية الألوهية في دائرة الفكر، واختزل الله عز وجل في فكرة من الأفكار!!.

٢- اعتبر إسماعيل أدهم "فكرة الله" فكرة أولية، ولعلنا ما زلنا نذكر أنه قام بالشك في أوليات الرياضيات، ولا بد من ملاحظة أن الذي يمارس الشك في الأوليات لابد أن يكون لديه خلل فكري بشكل أو بآخر؛ لأن أوليات العلوم من القواسم المشتركة التي تلتقي عندها العقول، وتتوحد لديها الأنظار، ولم يشذ على هذا الخط الفكري سوى السوفسطائيين، ومن سار على درهم، وكذلك الأمر بالنسبة لأولية "فكرة الله" التي هي جزء من فطرة الناس التي فطرهم خالقهم عليها، وفي سياقنا هذا نحيل القارئ إلى الدراسة القيمة التي قام بإعدادها الزميل الفاضل الدكتور محمد عبد التواب السيد تحت عنوان: "وجود الله تعالى بين الفطرة والدليل"

ثم يتولى الإجابة لنفسه على سؤاله المطروح قائلاً في غرور الوائق أو ثقة المغرور: "الواقع الذي ألمسه أن فكرة الله فكرة أولية، وقد أصبحت من مستلزمات الجماعات منذ ألفي سنة؛ ومن هنا يمكننا بكل اطمئنان أن نقول: إن مقام فكرة الله الفلسفية أو مكانها في عالم الفكر الإنساني لا يرجع لما فيها من عناصر القوة الإقناعية الفلسفية، وإنما يعود لحالة يسميها علماء النفس التبرير. ومن هنا فإنك لا تجد لكل الأدلة التي تقام لأجل إثبات وجود السبب الأول قيمة علمية أو عقلية.

ولن نعلم مع رجال الأديان والعقائد أن أصل فكرة الله تطورت عن حالات بدائية، وأنها شقت طريقها لعالم الفكر من حالات وهم وخوف وجهل بأسباب الأشياء الطبيعية.

ومعرفتنا بأصل فكرة الله تذهب بالقدسية التي كنا نخضعها عليها"^(١).

هذه الفقرة من رسالة "لماذا أنا ملحد؟" هي الوحيدة التي تناول فيها إسماعيل أدهم قضية الألوهية بأسلوب

(١) السابق: نفسه.

٣- وضع أدهم نفسه في مصاف المتخصصين في علم الاجتماع، واستخلص بعقريته أن فكرة الله أصبحت من مستلزمات الجماعات منذ ألقى سنة.

٤- خطأ خطوة أبعد، وإن شئت قل قفز قفزة أعلى إلا أنها كقفزة القرد عندما سلب فكرة الله عناصر القوة الإقناعية الفلسفية التي لم تكن سبباً لانتشارها في عالم الفكر الإنساني، وإنما السبب هو التبرير على حد تسمية علماء النفس فيما يزعم.

٥- التشكيك في الأدلة التي تثبت وجود السبب الأول على حد تعبيره، وانتقادها للقيم العلمية والعقلية.

٦- تطورت فكرة الله عن حالات بدائية كما يزعم هذا المرتد، ويرجع وجودها إلى الحالات الشعورية ومنها الجهل بأسباب الظواهر الطبيعية.

٧- انتقاد فكرة الألوهية للقدسية التي كان البشر يخضعون لها بعد معرفة أصلها.

ونبدأ الآن بتفكيك خطابه، وتحليل منطلقاته، ولكن قبل ذلك نحن في حالة اضطراب للبدء - نعتذر للتكرار - بالتذكير بجذر هذا التعبير الغريب الذي

يتحدث فيه عن الألوهية بجلالها وجلالها وكما لها باعتبارها مجرد فكرة من الأفكار، وهذا الجذر جاء في مادة ضمن أحد القوانين الصادرة في الاتحاد السوفيتي بتاريخ ١٥ مايو ١٩٣٢م عندما كان ذلك الملحد يقيم هناك في معقل الإلحاد في العالم، وقبل حصوله على درجتي الدكتوراه بعام واحد، تقول هذه المادة: " لن يبقى في كافة أرجاء الاتحاد السوفيتي مكان للعبادة، ويجب القضاء نهائياً على فكرة الله؛ لأنها بقية من بقايا القرون الوسطى، وأداة لاضطهاد الطبقات العاملة"^(١)، ونحن نقطع بأن هذا المارق قد اطلع على هذا القانون، وعلى هذه المادة بالذات، بل كان أداة طيعة من أدوات تحقيقها، وليس أدل على ذلك من منهجه في التفكير، وأسلوبه في تناول، ولنته في الحديث.

إن إسماعيل أدهم أخفق في تناول قضية الألوهية إخفاً واضحاً مثلما أخفق في تبني موقف الشك الذي نادى به إلى نتائج سلبية، وهو هنا قد كان

(١) د. محمد عبد الفضيل القوصي: إلهام الفكر الماركسي: ص ٢٢٢.

مباشر، وقبل التعرض لها بالتحليل والنقد نبدي الملاحظات الآتية:

١- جاء حديثه عن رب العزة تبارك وتعالى بصورة لا تليق بذاته العلية، وقد تكرر لفظ الجلالة في هذه الفقرة أربع مرات مضافاً إلى كلمة فكرة؛ وهذا فقد حصر قضية الألوهية في دائرة الفكر، واختزل الله عز وجل في فكرة من الأفكار!!

٢- اعتبر إسماعيل أدهم "فكرة الله" فكرة أولية، ولعلنا ما زلنا نذكر أنه قام بالشك في أوليات الرياضيات، ولا بد من ملاحظة أن الذي يمارس الشك في الأوليات لابد أن يكون لديه خلل فكري بشكل أو بآخر؛ لأن أوليات العلوم من القواسم المشتركة التي تلتقي عندها العقول، وتتوحد لديها الأنظار، ولم يشد على هذا الخط الفكري سوى السوفسطائيين، ومن سار على دربهم، وكذلك الأمر بالنسبة لأولية "فكرة الله" التي هي جزء من فطرة الناس التي فطرهم خالقهم عليها، وفي سياقنا هذا نحيل القارئ إلى الدراسة القيمة التي قام بإعدادها الزميل الفاضل الدكتور محمد عبد التواب السيد تحت عنوان: "وجود الله تعالى بين الفطرة والدليل"

ثم يتولى الإجابة لنفسه على سؤاله المطروح قائلاً في غرور الوائق أو ثقة المغرور: "الواقع الذي ألمسه أن فكرة الله فكرة أولية، وقد أصبحت من مستلزمات الجماعات منذ ألقى سنة؛ ومن هنا يمكننا بكل اطمئنان أن نقول: إن مقام فكرة الله الفلسفية أو مكانها في عالم الفكر الإنساني لا يرجع لما فيها من عناصر القوة الإقناعية الفلسفية، وإنما يعود لحالة يسميها علماء النفس التبرير.

ومن هنا فإنك لا تجد لكل الأدلة التي تقام لأجل إثبات وجود السبب الأول قيمة علمية أو عقلية.

ولنحزن مع رجال الأديان والعقائد أن أصل فكرة الله تطورت عن حالات بدائية، وأنها شقت طريقها لعالم الفكر من حالات وهم وخوف وجهل بأسباب الأشياء الطبيعية.

ومعرفتنا بأصل فكرة الله تذهب بالقدسية التي كنا نخضعها عليها"^(١).

هذه الفقرة من رسالة "لماذا أنا ملحد؟" هي الوحيدة التي تناول فيها إسماعيل أدهم قضية الألوهية بأسلوب

(١) السابق: نفسه.

٣- وضع أدهم نفسه في مصاف المتخصصين في علم الاجتماع، واستخلص بعقريته أن فكرة الله أصبحت من مستلزمات الجماعات منذ ألفى سنة.

٤- خطأ خطوة أبعد، وإن شئت قل قفز قفزة أعلى إلا أنها كقفزة القرد عندما سلب فكرة الله عناصر القوة الإقناعية الفلسفية التي لم تكن سببا لانتشارها في عالم الفكر الإنساني، وإنما السبب هو التبرير على حد تسمية علماء النفس فيما يزعم.

٥- التشكيك في الأدلة التي تثبت وجود السبب الأول على حد تعبيره، وانقادهما للقيم العلمية والعقلية.

٦- تطورت فكرة الله عن حالات بدائية كما يزعم هذا المرتد، ويرجع وجودها إلى الحالات الشعورية ومنها الجهل بأسباب الظواهر الطبيعية.

٧- انقباد فكرة الألوهية للقدسية التي كان البشر يخلعونها عليها بعد معرفة أصلها.

ونبدأ الآن بتفكيك خطابه، وتحليل منطلقاته، ولكن قبل ذلك نحن في حالة اضطراب للبدهة - ونعتذر للتكرار - بالتذكير بجذر هذا التعبير الغريب الذي

يتحدث فيه عن الألوهية بجلالها وجلالها وكما لها باعتبارها مجرد فكرة من الأفكار، وهذا الجذر جاء في مادة ضمن أحد القوانين الصادرة في الاتحاد السوفيتي بتاريخ ١٥ مايو ١٩٣٢م عندما كان ذلك الملحد يقيم هناك في معقل الإلحاد في العالم، وقبل حصوله على درجتي الدكتوراه بعام واحد، نقول هذه المادة: " لن يبقى في كافلة أرجاء الاتحاد السوفيتي مكان للعبادة، ويجب القضاء فثانيا على فكرة الله، لأنها بقية من بقايا القرون الوسطى، وأداة لاضطهاد الطبقات العاملة" (١)، ونحن نقطع بأن هذا المارق قد اطلع على هذا القانون، وعلى هذه المادة بالذات، بل كان أداة طيعة من أدوات تحفيها، وليس أدل على ذلك من منهج في التفكير، وأسلوبه في التناول، ولغته في الحديث.

إن إسماعيل أدهم أخفق في تناوله قضية الألوهية إخفاقا واضحا مثلما أخفق في تبني موقف الشك الذي نأدى به إلى نتائج سلبية، وهو هنا قد كان

(١) د. محمد عبد الفضيل القوصي: إلهام الفكر الماركسي: ص ٢٢٢.

البشرية القاصرة التي تفقر إلى البراهين الصحيحة التي لا يتطرق إليها شك، وهي التي أعلن إيمانه بها كنظرية النشوء والارتقاء التي تلخص فلسفة التطور عند دارون وسابقيه ولاحقه، ولن نسوق له الأدلة العلمية المستمدة من القرآن الكريم ومن الصحيح الثابت من سنة سيدنا رسول الله ﷺ، ولن نتمثل له بقول الحق عز وجل: ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتَ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا ﴾ (١)، ولن نصبح عورات نظرية التطور في سياقنا هذا حتى لا يفلت الموضوع من بين أصابعنا ولكننا نحيله إلى موقف واحد لأحد الذين كان أدهم مفتونا بهم وهو توماس هكسلي الذي اكتشف في قاع البحر مادة هلامية اعتقد أنها حلقة الانتقال من عالم الجماد على عالم الحياة، ونظر فيها لاعتقد أنها "بروتوبلازم" ودعاها بذلك الاسم، ثم اتضح أنها طين لا أكثر أو رواسب جرف مواد عضوية، وقد اعترف بذلك وأعلن أسفه؛ لأنه كان السبب في تضليل كثيرين اعتمدوا على

(١) سورة الكهف: الآية ٥١.

شهرته، واستشهدوا به في تأييد التولد الذاتي" (٢)، فهكسلي هذا لم يكن أميناً في علمه، ولم يكن على دين الله، ورغم ذلك فهل خلا الوعي البشري من فكرة الألوهية قبل ألفى سنة؟، إننا لو عدنا القهقري منذ جهر بهذا اللغو الفارغ في عام ١٩٣٧م لوجدنا أن الألفى سنة انتهى قبل الميلاد بثلاثة وستين عاماً، فأين حضور عقيدة الألوهية في المجتمعات البشرية على أيدي الأنبياء الكبار قبل عيسى عليه السلام؟

وهم كان يطالب هؤلاء الأنبياء أقوامهم سواء آمنوا بدعوقهم أم كفروا بها؟!

ألم تكن عقيدة الألوهية حاضرة بقوة عند إبراهيم ولوط ونوح وموسى وغيرهم من المرسلين؟! بل هم انشغل البشر منذ دبت أقدامهم على الأرض - حتى لو كانوا منحدرين من أصلاب القردة العليا حسب زعم سادته-؟، ألم تشغلهم فكرة الألوهية والبحث عن القوى الخارجية التي تتحكم في الظواهر الطبيعية؟ وسواء أقال هؤلاء البشر بتعدد الآلهة؟ أم آمنوا بالإله الواحد؟....

(٢) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة ص ٣٦٤، ٣٦٥.

فالأديان السماوية، بل والأديان الوضعية أقدم بكثير من هذا التاريخ القريب الذي حدده بغفلة وسداجة ذلك الدعى الأخرق، وستعرف بعد قليل على توازى غريزة الدين مع وجود الإنسان منذ فجر التاريخ الذى يصل فى طرح العلم - وهو مجرد تخمين - إلى ملايين السنين.

ومهما يكن من أمر فإن زعمه يفقر إلى ما ينهض دليلا على صحته، بالإضافة إلى افتقاده للأسس العقلية، والضوابط القياسية، والمعايير الاستقرائية التى وضعها علماء الاجتماع الباحثون فى نشأة الدين، وأشهرهم دوركايم الذى يرى أن "الدين بدأ بأن تصور الناس قوة لاشخصية متفرقة فى الأشياء تمنحها ما لها من قوة، ثم تشخصت هذه القوة فى الطوطم"^(١) أولا، وفى الإله الواحد أخيرا، فكانت لنا فكرة الله كموجود شخصى مقدس، لأن هذه الفكرة ليست مستفادة مما نشعر به من قوة باطنة، ولا مكتسبة بالاستدلال، ولكنها اجتماعية.

(١) هذا الاسم مأخوذ من لغة المنسود الحمر فى أمريكا الشمالية، وهو اسم لم يتفق على ضبطه ولا تحديد معناه، ويفسر تارة بمعنى موطن العشرة ومستقرها، وتارة بمعنى العلامة والشعار. انظر: الدين للدكتور محمد عبد الله دراز ص ١٥٩.

والدين أقوى مظاهر الحياة الاجتماعية وأعمها إليه ترجع الصور التى انتظمت بها المعارف الإنسانية، إذ أنه النبوع الذى تفيض منه القوة الجسمية، والقوة المحوية فى أفعال الحياة المشتركة^(٢)، وقد أشرنا إلى تعدد المدارس، وتنوع المذاهب التى تناولت بالدرس والتحليل نشأة الدين^(٣)، ورغم ذلك فقد اخترنا دوركايم وحده لأن ربط نشأة الدين بالاجتماع البشرى وهو ما رأينا شيئا له - إلى حد ما - عن أدهم فى ربطه بين "فكرة الله" وبين الجماعات البشرية.

وقد تعرضت آراء دوركايم لنقد عنيف عند الإسلاميين الذين تناولوها بالبحث، فالدكتور دراز ينتقد دوركايم، ويقول عنه بأنه "يعمد إلى ضرب من اللهو الخليع يأتيه بعض القبالل فى حفلات تضم كل شئ إلا الدين والعبادة، ويترخص فيها بارتكاب أعمال شاذة تنافى قواعد الأخلاق المقررة والمتبعة بانتظام عندهم، يعمد إلى هذه الحفلات الماجنة، فيرسم لنا منها لوحة

(٢) تاريخ الفلسفة الحديثة ص ٤٣٤.

(٣) انظر أيضا: الله للأستاذ عباس محمود العقاد.

نشأة الدين للأستاذ على سامى النشار.

بارزة يعرضها علينا قائلا: إذا أردتم معنى الدين فيها هنا منبعه ومظهره.

هكذا وصل الأمر بهذا الباحث فى تقديره لعقول قرائه إلى حد محاولة إلهائهم عن الحقائق، وتسمية الأشياء لهم بغير أسمائها، فهو يريد أن يقول لهم: إن كل حمة جنونية يشرها مجتمع صاحب، وكل سورة إباحية تنطلق فيها الوجدانات من عقائدها بعدوى المحاكاة أيا كان هدفها وباعتها فهى نوع من الدين، ولو كان سيل الشهوات الجامحة فيها يجتف كل ضابط من ضوابط العقول، ويقتحم كل معقل من معاقل الآداب المحترمة فى الشعب نفسه.

إننا لرى لزما علينا أن ننبه ها هنا إلى خطأ منهجى صريح وقع فيه صاحب المنهج نفسه^(١).

ويتحدث الدكتور رشدى فكار فى لهجة أكثر سخرية وحدة من الدكتور دراز فينتقد الاجتماعيين الذين حاولوا الوصول من المعتقدات البدائية إلى العقائد السماوية، قائلا عنهم: "أكثرهم من اليهود الخارجين حتى على يهوديتهم، ولديهم ميئات وعقد انغلاقية وهموم

(١) الدين ص ١٦٦.

عميقة سعوا إلى تقينها للنيل من الأديان السماوية الخالدة بالبحث عن ربط مصطنع بين المنقرض والحى الدائم المستمر الخالد، وكأنهم كانوا جالسين على مقهى وهم يرون هذا المشهد العجيب من تحول المعتقدات البدائية إلى عقائد سماوية"^(٢).

وزعيمهم دور كايم هذا "هو ربيب الثقافة الماركسية، والنظرية المادية أصلا، ومفهومه معارض تماما لكل القيم الأساسية التى جاءت بها الفطرة، أو صاغتها الأديان فى منهجها الربانى القائم على الفطرة"^(٣).

واللافت للنظر فى سياقنا هذا - بعد تصريح د. فكار بأن جل رجال المدرسة الاجتماعية من اليهود، "ولا ريب أن نظرية دوركايم فى الاجتماع حين تلتقى بنظرية فرويد فى النفس ونظرية ماركس فى الاقتصاد من شأنها أن تشكل إنسانا مضطربا مزعزع الوجدان. واليهود الثلاثة هم القادة المسيطرون على هذا الفكر الغربى الذى

(٢) د. رشدى فكار: لغات عن منهجية الحوار والنقد الإعجازى للإسلام فى هذا العصر ص ٧٤، ٧٥.

(٣) أنور الجندي: على الفكر الإسلامى أن يتحرر

من سارتر وفرويد ودوركايم ص ٢٥.

يفرض الآن على أنه هو الفكر العالمى، بينما تختفى مفاهيم الإسلام في النفس والأخلاق والاجتماع وتتضاءل، ولا تعرض حق على أنها وجهة نظر أخرى بل لعل شبابنا في الجامعات يرى أنه ليس هناك مفهوم إسلامي هو أعمق وأصدق وأكثر أصالة من هذا المفهوم الذي تقوم عليه مجتمعات الغرب التي تعاني من تمزق الفرد واضطراب الأسرة وتخلخل المجتمع^(١).

والآن نتقل إلى نقطة أخرى في نقد رؤية المارق إسماعيل أدهم لقضية الألوهية، ونستأذن القارئ الكريم أن يتذكر مصطلح "التبرير" الذي اقتبسناه من الدكتور رشدي فكار ورجونا القارئ أن يقوم بالاحتفاظ به، فماذا نريد من وراء ذلك؟

قلنا منذ قليل: إن أدهم بعد أن حدد الحضور التاريخي لفكرة الله في الجماعات بألفى سنة قفز قفزة أعلى مما يقوم بها الفرد، ونحن لا نمزج هذا التشبيه ولا نسخر من أدهم؛ لأنه هو

(١) السابق: ص ٢٨.

= انظر أيضا: الخطر اليهودي: بروتوكولات حكماء صهيون للأستاذ محمد خليفة التونسي ص ٧١، ١١٣.

نفسه أعلن أمام أبيه أنه يؤمن بالنسوة والارتقاء، بل قال: إنه داروني وصرخ بها على سبيل الفخر والخيلاء، فلا غرابة إذن في الاحتكام إلى جيناته الوراثية، والانبهار بقفزته الباعثة على الضحك المثيرة للرتاء بإعلانه بأن مقام فكرة الله الفلسفية، أو مكافئها في عالم الفكر الإنساني لا يرجع لما فيها من عناصر القوة الإقناعية الفلسفية.

فما هي - إذن - علة هذا الحضور الواضح لعقيدة الألوهية في كل تجمع بشري في كل زمان ومكان؟ فقد اتفق المؤثوق بهم من مؤرخي الأديان على أن أشد الشعوب همجية ووثنية لم تفك عن الاعتقاد بآله خالق هو رب الأرباب^(٢).

فكيف قام أدهم بحمل هذه الإشكالية؟، إنه قام بالإفلات منها عن طريق حيلة أشبه بحيل الحواة، وهي التخيل على المتفجرين بمشهد بينما هم في انتظار مشهد آخر مغاير له تماما، فقد انتقل من مجال الفلسفة إلى مجال علم النفس زاعما أن التبرير هو الذي يبر "لفكرة الله" هذا الانتشار، وضمن لها ذلك الاستمرار.

(٢) الدين ص ١١٨.

النقد - إجمالاً - إلى الأدلة المستخدمة لإثبات وجود السبب الأول نافيا عنها كل قيمة عقلية أو علمية، ولعلنا ما زلنا نذكر سر افتتانه وانبهاره بهيوم وإعلانه بأنه كان الأقرب إلى نفسه، ولعلنا ندرك الآن بعض السر في ذلك لأن هيوم سبقه في هذا المجال حيث توجه - بمنهج سوفسطائي - لانتقاد الأدلة التي تبرهن على إثبات وجود الله تعالى عن طريق العقل^(٢)، كما أشرنا إلى ذلك في سياقنا من هذا البحث.

ثم يستمر إسماعيل أدهم في ممارسة

دوره المشبوه من خلال أنه

القراء، والتمويه والخداع فيقول: نعلم مع رجال الأديان والعقائد أن أصل فكرة الله تطورت عن حالات بدائية، وأنها شقت طريقها لعالم الفكر من حالات وهم وخوف وجهل بأسباب الأشياء الطبيعية^(٣).

وقبل التعليق على هذا الطرح المتهاافت أود التنبيه على هذا التناقض الذي وقع فيه هذا الملحد، وهو قوله عن أصل فكرة الله إنها "تطورت عن حالات

وقد قلنا وكررنا القول عن عشرات النماذج من الفلاسفة والعلماء الذين وصلوا من خلال البحث الحر إلى الإقرار بوجود الله عز وجل بمختلف المناهج الفلسفية والعلمية، ومنها بطبيعة الحال المدرسة النفسية، ولكننا لم نر أحد أربابها مثل أدهم الذي قام باستخدام هذا المصطلح "التبرير"، الذي لا يقول به إلا العوام، ولا يتأدى به إلا السذج الغافلون.

ومن المثير للشفقة، بل والباعث على الغيظ من هذا السفيه هو قيامه بتوجيه النقد لساداته من العلماء الذين أقروا بوجود الله عز وجل، ومنهم آينشتاين والسيرجيمس جير، وستكون لنا وقفة مع هذه الجزئية في الفقرة الأخيرة. وهذا التعليل الذي حصره في التبرير لم نجد له أثرا عند أصحاب المذاهب النفسية^(١) من ماباتييه إلى برجسون حتى ديكارت الذي صنفه د. دراز ضمن رجال المدرسة النفسية باعتبار تجربته الشخصية تجربة نفسية في المقام الأول، وربما أدى ذلك النقد بأدهم إلى نقطة أخرى قام فيها بتوجيه

(١) السابق: ص ١٤٢ ص ١٥٣.

(٢) تاريخ الفلسفة الحديثة ص ١٧٨، ١٧٩.

(٣) لماذا أنا ملحد؟ ص ٦.

بدائية"، وقد علمنا فيما سبق أنه يزعم حضور هذه الفكرة في الجماعات البشرية منذ ألقى سنة فقط، فهل يعتبر أن ما قبل الألفى سنة هو الذى يشكل فى نظره "الحالات البدائية"؟، إننى أرى أن تناقضه وجهاته هنا لا يستحقان التعليق!!!، مع الأخذ بعين الاعتبار أن تاريخ العمران البشرى موغل فى القدم، وليس قاصرا على هذه الفترة الزمنية القصيرة التى حددها كبدائية لظهور "فكرة الله" حسب زعمه، ومن ناحية أخرى يتحدث عن نفسه بصيغة الجمع، ويضم ذاته المتضمنة مع المتخصصين فى الأديان والعقائد، فيقول "ولمحنْ نعلم مع رجال الأديان.."، وهذا وهم كبير، وكذب مفضوح فمن من رجال الأديان والعقائد يقر هذا السفيه على زعمه هذا عن تطور الألوهية عن حالات بدائية؟، ولعله فى ذلك كان تابعا لدوركايم الذى جعل هذه الفكرة مقدمة من مقدمات مذهبه الاجتماعى الذى يصل فى النهاية إلى أن الدين نشأ فى الأرض، وليست له صلة بالسماء، ولستنا بصدد تحليل وجهة نظر دوركايم أو نقدها، وهذه المقدمة ترى "أن خير وسيلة لتفسير ظاهرة معقدة كالظاهرة الدينية أن تدرس فى

بداية نشأتها قبل أن تخالطها عناصر غريبة عنها؛ وأن ذلك إنما يكون بينات الأسم البدائية"^(١)، ومن خلال متابعة نظرية دوركايم نتعرف على أن هذه الأسم البدائية موغلة فى القدم، وليست قريبة من هذا المدى الزمنى القصير الذى حدده أدهم بألفى سنة فى مقابل وجود الجنس البشرى على الأرض، ورغم ذلك فإن الباحثين الجادين قد بدأوا يتعاملون مع مصطلح البدائية بشئ من التحفظ، أو كما يقول د. دواز: "لقد مضى الزمن الذى كانت فيه كلمة "البدائتين" تستعمل بسهولة وبظن ألفا على شعوب موجودة بالفعل بالقرن على فطرهم الأولى لم يمروا بطور من أطوار الحضارة، واليوم وقد زال هذا الوهم من النفوس أصبح كل كاتب يحترم نفسه لا يستسيغ أن يكتب هذه الكلمة إلا إذا وضعها بين أقواس صغيرة للإشارة إلى أنها كلمة اصطلاحية ينقلها عن غيره ولا يحمل هو تبعها"^(٢)، والدكتور دواز مع كل الحق فى هذه الملاحظة؛ لأن هذا المصطلح مرتبط بالنظريات التى قطعت

(١) الدين ص ١٥٨، ١٩٥.

(٢) السابق: نفسه.

الصلة بين البشرية وبين خالقها فى أصل نشأتها، ولديها، ولعاقبا، وحضارتها عندما طرحت فروضا مصادمة للرؤية الدينية الصحيحة، وأخطرها نظرية التطور المفروضة دينيا، المفتقرة إلى اليقين العلمى الذى يوصل إلى الحد الأدنى من الاطمئنان لتائجها المشكوك فيها، ومثلما كان أدهم تابعا لدوركايم فى قوله ببدء الاعتقاد بالألوهية عند الأمم البدائية كان تابعا لمولر فى ربطه بين نشأة الدين وبين الظواهر الطبيعية، فهو عندما يحكم بأن فكرة الله شقت طريقها لعالم الفكر من حالات وهم وخوف وجهل بأسباب الأشياء الطبيعية إنما كان يقضى آثار ماكس مولر "أشهر مقررى هذه النظرية التى ترى أن العامل الأول فى إثارة الفكرة الدينية كان هو النظر فى مشاهد الطبيعة، ولا سيما الأفلاك والعناصر، وقد وجد مولر أن أسماء الالهة فى الغالب هى أسماء لتلك القوى الطبيعية العظيمة كالسماء والنار ونحوها"^(١)، وفى ذلك يقول مولر: "منذ أول نظرة يلقها الناس على الطبيعة لاشئ كان يبدو له أقل طبيعية من

(١) السابق: ص ١١٩، ١٢٠.

الطبيعة ذاتها، فكانت الطبيعة عندهم الدهشة العظمى والفزع الأكبر، كانت عجية من العجائب ومعجزة من المعجزات دائمة...

ومن المعلوم أن هذا النطاق الواسع - الطبيعة - كانت ميدانا لعواطف الدهشة والخوف. إن هذه المعجزة، إن هذا الأمر الخارق، هذا المجهول المتسع المقابل لما هو معروف لدينا - إن هذا - هو ما أعطى للفكر الدينى وللغة الدينية أساسها الأول"^(٢).

إننا كلما تعمقنا فى البحث وجدنا أن إسماعيل أدهم كان حائطا بليلا يأخذ من المذاهب السابقة كل ما يؤيد وجهة نظره ويدعمها، وكل ما يتأدى به إلى الوصول إلى غايته الوحيدة، وهدفه الرئيسى وهو الإلحاد، وهو هنا فى حديثه عن فكرة الله قام باقتباس معظمها عن المدرسة الاجتماعية من خلال أخذه عن رائدها الأول دوركايم، والمدرسة الطبيعية من خلال أخذه عن رائدها ماكس مولر حتى المفردات المعبرة عن الحالات الشعورية قام بالسطو عليها دون الإحالة إلى أصحابها.

(٢) على سامى النشار: نشأة الدين ص ٧٢، ٧٣.

إنه كذوب بادعائه العلم والمعرفة حيث ثبت أنه لا علم عنده ولا معرفة وخصوصا في ميدان العقائد، وتأتى أقوال المتخصصين تدك بنيانه من القواعد، ولناخذ طائفة سريعة من الأقوال التي تربط بين الإنسان منذ نشأته وبين الدين عامة والإلهيات خاصة، يقول معجم لاروس للقرن العشرين: "إن الغريزة الدينية: مشتركة بين كل الأجناس البشرية حتى أشدها همجية، وأقربها إلى الحياة الحيوانية... وإن الاهتمام بالمعنى الإلهي، وبما فوق الطبيعة هو إحدى الرغبات الخالدة للإنسانية"^(١).

ويقول الدكتور دراز: "الفكرة الدينية تعبر عن حاجات النفس الإنسانية في مختلف ملكاتها ومظاهرها، حتى إنه كما صح أن يعرف الإنسان بأنه "حيوان مفكر" أو بأنه "حيوان مدني بطبعه" يسوغ لنا كذلك أن نعرفه بأنه "حيوان متدين بفطرته"^(٢)، وحول نفس المعنى يقول الدكتور إمام عبد الفتاح إمام: "إذا كان أرسطو قد عرف الإنسان بأنه "حيوان ناطق" أي مفكر فقد عرفه غيره

(١) الدين ص ٨٤.

(٢) السابق: ص ١٠٠.

بأنه "حيوان متدين" فذهب هيجل - مثلا- إلى "أن الإنسان وحده هو الذي يمكن أن يكون له دين"؛ ذلك لأن الدين عنصر أساسي في تكوين الإنسان، والחס الديني إنما يكمن في أعماق كل قلب بشري بل هو يدخل في صميم ماهية الإنسان، مثله في ذلك مثل العقل سواء بسواء"^(٣).

وكما قلنا فيما سبق: ما كان أحراه أن يوظف قدراته للمحافظة على عقيدته الدينية، أو ترسيخها وتعميقها بالدراسات الرياضية والطبيعية، أو على الأقل للعودة إليها بعد أن انسلخ منها كما عاد سواه، ومنهم هنري لك الذي كانت له تجربة إلحادية فريدة عاد منها إلى تدينه الذي كان عليه، وقد كان في بداية إلحاده شيئا بأدهم حيث تسبب العلم في خروجه عن الدين إلا أنه - بالعلم أيضا - عاد إلى الدين، ول ذلك يقول: "وكما جرفني العلم قديما بعيدا عن الدين كانت عودتي إليه أيضا عن طريقه هو"^(٤)؛ ولذلك كانت عودته إلى الدين قوية جارفة، ومن هنا كانت رؤيته

(٣) جفرى بارنس: المعتقدات الدينية لدى

الشعوب ص ٧ من مقدمة المترجم.

(٤) هنري لك: العودة إلى الإيمان ص ١٨ ترجمة

د. ثروت عكاشة.

المرء اللبيب إلا أن يقول: "أنا لا أعرف" أعنى أن يكون لا أدريا"^(٥).

وقد سبق إيراء تساؤل أدهم الذي قال فيه: "هل عدم قيام الأدلة على عدم وجود الله مما يدفع المرء للأدرية؟" ثم تجاوزها إلى إعلان الإلحاد الذي لم يعد منه إلى الإيمان كما عاد سواه بل عاش فيه وارتضاه إلى أن مات عليه.

ثانياً: فكوته عن السببية:

نأتى الآن لعرض وتحليل فكرة إسماعيل أدهم عن السببية، وإن تعجب فعجب اعترافه بسبب وجود الكون، ولكن يتضاعف العجب إذا عرفنا أنه يعتقد بأن هذا السبب يتضمنه الكون، وأنكر ما عداه، اقرأ وتأمل تعريفه للإلحاد بأنه "هو الإيمان بأن سبب الكون يتضمنه الكون في ذاته، وأن ثمة لا شئ وراء هذا العالم."^(٦)

وقبل أن أقوم بتحليل هذا التعريف، ووضعه في سياقه، وفي موقعه داخل الإطار العام لفكرته عن السببية، أود التذكير بأن الهدف الرئيسي، والغرض النهائي لهذا التعريف هو إنكار

للدين باعتباره "الإيمان بوجود قوة ما كمصدر للحياة، هذه القوة هي قوة الله، مدبر الكون، خالق السماوات، وهو الاقتناع بال دستور الخلق الإلهي الذي سنه الله في كنهه المتعاقبة، واعتبار التعاليم السماوية أثمن كثر تغترف منه الحقائق الدينية التي هي أسسها في مرماها من العلوم كلها مجتمعة، والقيم الخلقية التي هي أقوى في أساسها من نظرية العقل والسببية"^(١).

لإذا تعرفنا على الخلفية الثقافية هنرى لك اندهشنا لهذا التشابه العجيب الذي يصل إلى حد التطابق فيما بينه وبينه إسماعيل أدهم حتى في المفردات اللغوية بيد أن النهايات كانت متغايرة تماماً، يعرفنا لك بالعالم الذي يتسامى على الإدراك العقلي فيقول عنه:

"أما ما هو خارج عن هذه الدائرة الكبرى فهو مملكة الخرافات والعقائد والأوهام التي لا تملك عليها برهاناً حيث نحوم "فكرة الله"، والمعتقدات الدينية في هذه المنطقة غير المحدودة، فنحن لا يمكننا إثبات وجود الله كما لا يمكن إثبات عدم وجوده، وقياساً على ذلك لا يسع

(٥) السابق: ص ٢١.

(٦) لماذا أنا ملحد؟ ص ٥.

(١) السابق: ص ٢٥.

وجود الله سبحانه وتعالى ﴿كَثُرَتْ
كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ
يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾^(١)

وقد صنع أدهم مثلما صنع
الشيوعيون الذين "أهدروا قانون السببية
حين ادعوا أن المادة خلقت نفسها، ثم
خلقت غيرها من الكائنات، وذهبوا إلى
أن المادة مكتفية بنفسها دون احتياج إلى
سبب أو علة أولى تفسر إيجادها فهي
إذن "مسبب لا سبب له"!!، كما وقف
الشيوعيون عند القول بأن المادة مكتفية
بنفسها غير محتاجة إلى سبب خارج عنها
فرارا من الإيمان بالله؛ لأن الخطوة الأولى
بعد هذا لابد أن تفضى إلى "الإيمان"،
وهو أعدى أعداء الشيوعيين، فهامهم قد
كفروا بالسبب، وزعموا أن "المادة"
مسبب لا سبب له، أو هي السبب
والمسبب في آن واحد"^(٢).

وفي معرض إيراد الأدلة العقلية
على وجود الله تعالى يسوق أستاذنا
الدكتور أحمد الطيب اعتراضا مفترضا
على دليل الحدوث يتفق مع زعم أدهم
باكتفاء الكون بذاته، والاستغناء عن أى

(١) سورة الكهف: الآية ٥.

(٢) د. عبد العظيم الطعنى: الإسلام في مواجهة
الأيديولوجيات المعاصرة ص ٣٣٩.

سبب خارجي، وكأنه المقصود بهذا
الاعتراض: "ومن الممكن أن يغالطك
ملحد، ويقول لك: إننى أتفق معك في
أن الأشياء قد وجدت بعد عدم، وأتفق
معك في أنها بحاجة إلى موجد؛ لأن قانون
السببية يوجب ذلك، ولكن اختلف
معك في أن يكون الموجد للكون ذاتا
إلهية مستقلة ومنفصلة عن الكون.

لم لا يكون موجد الكون هو نفس
الكون، ويكون العالم قد أوجد
نفسه؟"^(٣).

وهناجيب على هذه الاعتراضات
بالأدلة.

١- افتراض أن يكون العالم
أوجد نفسه مساو تماما لافتراض أن العالم
مخلوق وخالق في آن واحد.

٢- والعالم باعتباره علة
خالقة لابد أن يكون موجودا، وباعتباره
معلولا لابد أن يكون معدوما.

٣- لا يمكن أن يكون العالم
موجودا ومعدوما في آن واحد.

فلا يصح عقلا أن يكون المخلوق
خالقا كما لا يصح عقلا أن يكون الخالق

مخلوقا^(١). فإذا عدنا إلى أدهم الذى
اعترف بالسبب، وأقر بالسببية ولكنه في
نفس الوقت جعلها متضمنة في الكون
ذاته؛ وهو بذلك يتمرد على القاسم
المشترك العقلى بين العقلاء؛ لأننا "إذا
نظرنا إلى أصول الأسباب الكبرى تعذر
على العقل أن ينسب الظواهر الطبيعية
إلى هذه الأسباب التى تلازمها ثم يقف
عندها، فمن العسير على العقل أن يسلم
أن الظواهر المادية هي أسباب الحوادث
بطبيعة مستمدة منها ملازمة لها، مستقرة
فيها؛ لأن التسليم بهذا تسليم بوجود
منات أو ألوف من المادات كلها خالد،
وكلها موجود بذاته، وكلها مع ذلك
مؤثر في غيره وهو مستحيل.

فهل هناك ألوف من المادات، أو
هناك مادة واحدة؟

إن كان هناك ألوف من المادات
كلها خالد بصفاته وطبائعه فمن العجيب
في العقل أن يكون الخالد مؤثرا في خالد
مثله، وأن يوجد الشئ منذ الأزل
بطبيعته وخصائصه ليؤثر في شئ آخر

(١) السابق: نفسه.

انظر أيضا: الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات
المعاصرة للدكتور الطعنى ص ٣٢٥.

موجود مثله منذ الأزل بغير تلك
الخصائص وغير تلك الصفات.

أما إن كانت هذه الخصائص
تحولات ترجع إلى مادة واحدة في القدم
فقد بطل أنها هي أسباب الحوادث
بطبيعتها، وتعين أن تكون عارضة مؤثرة بما
أودع فيها على حسب تلك التحولات
التي ترجع في النهاية إلى مصدر واحد لا
تعدوه.

فالعقل ينتهى في مسألة الأسباب إلى
نتيجة واحدة تصح عنده بعد كل نتيجة:
وهي أن الأسباب ليست هي موجدات
الحوادث، والا هي مقدمة عليها بقوة
تخصها دون سائر الموجودات، ولكنها
مقارنات تصاحبها ولا تغنى عن تقدير
المصدر الأول لجميع الأسباب وجميع
الكائنات"^(٢).

ونظرية السببية لها حضورها
الواضح في الفكر الإنساني عامة، وفي
الفكر الإسلامى والفلسفة الحديثة
خاصة، ومن أشهر من فصل القول فيها
عند الإسلاميين الاتجاه الأشعرى
وخصوصا عند الإمام الغزالي، ومن أشهر
من أفاض فيها في الفلسفة الحديثة هيوم.

(٢) عباس محمود العقاد: الفلسفة القرآنية ص ١٥.

ومن الإسلاميين المعاصرين العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز الذى جعلها مع قسيمتها "الغائية" من العوامل الأولى لإيقاظ العقيدة الدينية فى النفوس البشرية فيتحدث عن قانون السببية قائلا: "إنه يقرر أن شيئا من الممكنات لا يحدث بنفسه من غير شئ؛ لأنه لا يحمل فى طبيعته السبب الكافى لوجوده، ولا يستقل بإحداث شئ؛ لأنه لا يستطيع أن يمنع غيره شيئا لا يملكه هو"^(١)، كما أن الصفر لا يمكن أن يتولد عنه عدد إيجابى فلا بد له فى وجوده، وفى تأثيره من سبب خارجى، وهذا السبب الخارجى إن لم يكن موجودا بنفسه احتاج إلى غيره فلا مفر من الانتهاء إلى سبب ضرورى الوجود يكون هو مسبب الأسباب"^(٢).

(١) انظر ما قاله الدكتور المظن ساعرا من الفكر الساطع للشيوخ الذين جعلوا المادة خالقة فى قولهم: إن المادة الجمادية هى الخالق له نفسها ولغيرها لما هو أعلى منها شأنا من نبات وحيوان وإنسان، فخالقوا كل معروف ومألوف، وآتوا بمنكر من القول وزورا حيث جعلوا فاقد الشئ معطيا له، وهذه مقولة من أشد المقولات فسادا؛ لأن فاقد الشئ لا يكون معطيا له بأية حال من الأحوال. الإسلام فى مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة ص ٣٢٤، ٣٢٥.

(٢) الدين ص ١٠٩، ١١٠.

ومثلما كان إسماعيل أدهم شاذل لحاده، كان أكثر شذوذا فى التسبب لهذا الإلحاد، فقد نسب السببية إلى العلم وأطلق عليها اسم "السببية العلمية"، وينتهى من خلال الإغراب فى الطرح إلى القول بالاحتمال والصدفة فى خلق العالم، وفى ذلك يقول: "إن العالم الخارجى (عالم الحوادث) يخضع لقوانين الاحتمال.

فالسنة الطبيعية لا تخرج عن كونها احتمال القيمة التقديرية التى يخلص لها الباحث من حادثة على ما يمثلهما من حوادث.

والسببية العلمية لا تخرج ل صميمها عن أنها وصف لسوء الحوادث وصلافا بعضها ببعض"^(٣).

وهو هنا فى هذا النص يتسق مع منهجه، ويتفق مع غايته النهائية من هذا المنهج وهى إنكار وجود الله عز وجل، ولكنه فى نفس الوقت يصادم بداهة العقل وكلامه عن السنة الطبيعية كلام غير دقيق؛ لأنه لا يبعد أن يكون مشابها للاستقراء الناقص فى المنطق، ولا يمكن تطبيق حادثة واحدة على ما يمثلهما من

(٣) لماذا أنا ملحد؟ ص ٦.

آخر، وللحادثة (د) حينا، وللحادثة (هـ) حينا آخر.

والذى نخرج به من ذلك أن العلاقة بين ما نطلق عليه اصطلاح السبب وبين ما نطلق عليه اصطلاح النتيجة تخضع لسنن الاحتمال المحضة التى هى أساس الفكر العلمى الحديث.^(١)

إذن فقد وصل هذا الملحد إلى إخضاع الأسباب والنتائج إلى ما أسماه سنن الاحتمال المحضة، وجعل هذه السنن أساس الفكر العلمى الحديث، وإن المرء ليندهش من هذا الفكر العجيب حيث كلما اقترب صاحبه من الهدى أسرع للفرار منه، فقد كان فى قوله بارتباط الأسباب والنتائج تحت قانون "السببية العلمية" يعانى من خلل فكري؛ لأن الاقتران بينهما ليس حتميا، فالإمام الهروى الأنصارى يرى الاقتران بين السبب والنتيجة اقترانا عاديا، لا يفسر إلا من خلال جريان العادة بذلك، والإمام الغزالى يقول بانعدام الضرورة بينهما وجودا وعدما، وفى الفلسفة الحديثة يرى هيوم أن قانون العلية مجرد عادة ذهنية تنشأ عن الناس كلما رأوا

(١) السابق: نفسه.

حوادث لا فى بداهة العقل فى المنطق القديم حيث القياس، ولا فى المنطق الحديث حيث الملاحظة والتجربة التى تتطلب التكرار؛ لضمان سلامة القياس وصحة النتائج.

وكذلك الأمر بالنسبة لرؤيته للسببية العلمية التى يعتروها النقص، لأنه تعريف وصفى اقتصر على وصف العلاقات بين الحوادث أو بين الظواهر فقط دون البحث عما عماه أن يكون مسبا لها أو مؤثرا فيها، وهو دأبه وديده حيث الهروب من كل ما من شأنه أن يضعه وجها لوجه مع السبب الأول، وهو الخالق عز وجل الذى أجاد الفرار منه ولكن إلى سقر.

ومازلنا مع أدهم فى تخرصاته وإطلاقاته الجوفاء التى حاول إضفاء السمة العلمية عليها للتليس على قرائه، فيقول فى خيلاء وغرور: "وقد نجحنا فى ساحة الفيزيكا (الطبيعية) فى أن نثبت أن (أ) إذا كانت نتيجة للسبب (ب) فإن معنى ذلك أن هناك علاقة بين الحادثتين (أ) و (ب)، ويحتمل أن تحدث هذه العلاقة بين (أ) و (ج) وبينها وبين (د) و (هـ) فكانه يحتمل أن تكون نتيجة للحادثة (ب) وقتا، وللحادثة (ج) وقتا

حادثتين مطردتي الوقوع أو متتابعتين
فنشأ من هذا في أذهانهم اعتقاد بأن
اللاحق يعقب السابق.

وإذا اختلت هذه الحتمية بإرجاعها
إلى العادة الذهنية يختل بالتالي مبدأ
التعميم الذي يأخذ به البحث العلمي إذ
يستند إلى الاستقراء، والاستقراء لا
يتيسر فيه ملاحظة كل فرد من أفراد
الظاهرة في كل زمان ومكان^(١).

ولهذا فقد اقترب من الصواب
عندما خرج من القول بالسببية العلمية
التي أراد من خلالها الربط بين السبب
والنتيجة إلى القول "بسن الاحتمال"،
إلا أنه أهدر فرص النجاح المتاحة،
وسرعان ما غير موقفه عندما تجاوز سنن
الاحتمال أو قانون الاحتمال وتحول
فجأة إلى القول بقانون الصدفة.

"إن القول باحتمالية القوانين
الطبيعية له حضوره في الفلسفة المعاصرة
وخصوصاً في الوضعية المنطقية التي يرى
بعض رجالها انتفاء القول بالضرورة في
هذه القوانين الطبيعية، مستشهداً على

ذلك بقانونين من القوانين التي تعتمد
عليها أغلب العلوم الضرورية هما:

قانون الاستقراء

وقانون السببية... منتها إلى أن
فكرة الضرورة لا وجود لها في أي
منهما.

فالاستقراء لا يعتبر طريقة صحيحة
للتفكير سواء كان تفكيراً علمياً أو
غير علمي. والسببية ليست هناك ضرورة
عقلية أو تجريبية تبرر ارتباط ما نسبى
بالسبب بما يسمى بالسبب مجرد أن
أحدهما يسبق الآخر أو يتلوّه^(٢).

فلو كان لدى إسماعيل أدهم الحد
الأدنى من التوفيق لتوقف عند القول
بالاحتمال، لكان آنذا منسجماً مع طرح
العقول السليمة، والرؤية العلمية
الصحيحة، لكن أنى له ذلك وقوله
بالاحتمال يتأدى به - شاء أم أبى - إلى
ما وراء الطبيعة، ويجعله وجهاً لوجه مع
عالم الغيب حيث يضطر اضطراراً
للإقرار بوجود الخالق جل وعلا، وهنا
أفلت كعادته، وانتقل دون مبرر عقلي
أو علمي من قانون الاحتمال إلى قانون
الصدفة؛ لأنه سينطلق من خلاله إلى ما

شاء له خياله، وزينه له ضلاله من إفك
ومتان لإنكار الواحد الديان.

إلا أنه لم يثبت على قانون الصدفة
بل كان يعود إلى القول باحتمالية
الوجود والطبيعة، فكان ينتقل من
الاحتمال إلى الصدفة ثم يعود إلى
الاحتمال من جديد كلما وجد ثقباً
يتسلل منه إلى غرضه الخبيث وهو
الإلحاد، ولما كان قد انتهى به المآل إلى
القول بالصدفة في هذا النص فإننا على
موعد الآن مع الفكرة الرابعة والأخيرة
في هذا البحث وقد حان موعد الحديث
عنها الآن.

ثالثاً: إيمانه بالصدفة:

يبدأ إسماعيل أدهم حديثه عن
الصدفة بتساؤل عن معناها، ثم لا يتولى
الإجابة بنفسه، بل يقوم بنقل التعريف
عن هنري بوانكاريه^(١) الذي يقول فيه:
"إن الصدفة تخفى جهناً بالأسباب،
والركون للمصادفة اعتراف بالقصور

(١) هنري بوانكاريه (١٨٥٤-١٩١٢م) من
رجال المدرسة الفلسفية في فرنسا من مؤلفاته
"العلم والفرض"، و"قيمة العلم"، و"العلم
والنهج"، و"خواطر أخيرة".

انظر: تاريخ الفلسفة الحديثه: يوسف كرم
ص ٤٣٧.

عن تعرف هذه الأسباب: "ثم يعلق على
هذا التعريف قائلاً: "والواقع أن كل
العلماء يتفقون مع بوانكاريه في اعتقاده
منذ تفتح العقل الإنساني غير أن من
وجهة نظر رياضية أجدر للصدفة معنى
غير هذا، معنى دقيقاً بث للمرة الأولى في
تاريخ الفكر الإنساني، وهذا المعنى لا
تؤتي الألفاظ العادية للتعبير عنه؛ لأن
هذه الألفاظ ارتبطت بمفهوم السبب
والنتيجة؛ لهذا سنحاول أن نحدد المعنى
عن طريق ضرب الأمثلة"^(٢).

وإنني أستاذن القارئ لحظات قبل
أن نتعرف على هذه الأمثلة لنورد -
الآن- قولاً آخر لهذا الملحد يبرهن به
على صعوبة النظر إلى العالم بعيداً عن
السبب والنتيجة، وإخضاعه لقانون
الصدفة الشامل؛ وذلك "لأن مفهوم
الكلام رياضي صرف، ومن الصعب
التعبير في غير أسلوبه الرياضي، وليس
كل إنسان رياضياً عنده القدرة على
السير في البرهان الرياضي"^(٣).

نعود الآن إلى ضرب الأمثلة الذي
أراد به هذا الملحد شرح معنى الصدفة

(٢) لماذا أنا ملحد؟ ص ٧.

(٣) السابق: ص ١٠.

(١) د. يحيى هاشم حسن فرغل: الإسلام والاتجاهات
العلمية المعاصرة ص ٨٩، ٩٠ بتصرف.

(٢) السابق: ص ٩٠، ٩١ بتصرف.

الذى ظل غامضا منذ فجر التاريخ حتى قام -هو- بإيضاحه، وسترى معنى أنه بعد ما أرهق نفسه كان كمن فسر الماء بالماء!!، وأرجو من القارئ الكريم الاحتفاظ بأعصابه، وهو يتابع معنا هذا المثال الذى ساقه ذلك المهزار حيث يقول: "نفرض أن أمامنا زهر النرد ونحن جلوس حول مائدة، ومعلوم أن لكل زهر ستة أوجه، فلنرمز لكل زهر بالوجه الآتى فى كل من الزهرين:

يك : دو : فه : جهار : بنج : شيش

ل : ١ : ٢ : ٣ : ٤ : ٥ : ٦

ل ٦ فى زهر النرد الأول

ك : ١ : ٢ : ٣ : ٤ : ٥ :

ك ٦ فى زهر النرد الثانى

وبما أن كل واحد من هذه الأوجه محتمل مجيئه إذا رمينا زهر النرد، فإن مبلغ الاحتمال لهذه الأوجه يحدد معنى الصدفه التى نبهت عليها.

إن نسبة احتمال هذه الأوجه تابعة لحالة اللاعب بزهر النرد، ولكن أن نتساءل: ما نسبة احتمال هذه الأوجه تحت نفس الشرائط؟

فمثلا لو فرضنا أنه فى المرة "ن" كانت النتيجة هي:

ل ٦ × ك ٦ = شيش × شيش = دس
فما أوجه مجئ الدش فى المرة (ن)؟

إذا فرضنا أن الحالة الاجتماعية هي "ح" كان لنا أن نخلص من ذلك بأن اللاعب إذا رمى زهر النرد (ن) من المرات، وكان مجموعها مثلا ٣٦ مرة فاحتمال مجئ الدش هنا فى الواقع = (ن+س).

وبما أن ق+س = ٣٦ مرة فكان النسبة الاحتمالية هي ٣٦/١ فإذا أتى الدش مرة من ٣٦ مرة لما عد ذلك غريبا؛ لأنه محتمل الوقوع، ولكن ليس معنى ذلك أن الدش لابد من مجيئه؛ لأن هذا يدخل فى باب آخر قد يكون باب الرجم^(١).

وكلما عظم مقدار "س" فى المعادلة (ن+س) تحدد مقدار "ح" أى النسبة الاحتمالية، وذلك خضوعا لقانون الأعداد العظمى فى حسابات الاحتمال. ومعنى ذلك أن قانون الصدفه يسرى فى المقادير الكبيرة، مثال ذلك أن

(١) قلنا هكذا: من باب الرجم، ولم يتم الإزالة كما وردت فى القرآن الكريم "رجم باللب" سورة الكهف: الآية ٢٢، لأن الكلمة وقعت فى حلقه فلم يستطع النطق بها؛ لعدم إيمانه بالغيب!!.

الدش، وهذا قانون لا يختلف عن القوانين الطبيعية فى شئ.

إذا يمكننا أن نقول إن الصدفه التى تخضع العالم لقانون عددها الأعظم تعطى حالات إمكان، ولما كان العالم لا يخرج عن مجموعه من الحوادث ينتظم بعضها مع بعض فى وحدات تتداخل وتتناسق ثم تنحل وتتباعد لتعود من جديد لتنظم... وهكذا خاضعة فى حركتها هذه لحالات الإمكان التى يحددها القانون الأعظم الصدفى.

ومثل العالم فى ذلك مثل مطبعة فيها من كل نوع من حروف الأبجدية مليون حرف وقد أخذت هذه الحروف فى الاصطدام فتجتمع وتنظم ثم تتباعد وتنحل هكذا فى دورة لا نهائية، فلا شك أنه فى دورة من هذه الدورات اللانهائية لابد أن يخرج هذا المقال الذى تلونه الآن، كما أنه فى دورة أخرى من دورات اللانهائية لابد أن يخرج كتاب "أصل الأنواع"، وكذا "القرآن" مجموعا منضدا مصححا من نفسه.

ويمكننا إذا أن نتصور أن جميع المؤلفات التى وضعت ستأخذ دورها فى الظهور خاضعة لحالات احتمال وإمكان فى اللانهائية، فإذا اعتبرنا "ح" رمزا لحالة

عملية بتر الزائدة الدودية نسبة نجاحها ٩٥%، فلو فرضنا أن مائة مريض دخلوا أحد المستشفيات لإجراء هذه العملية فإن الجراح يكون مطمئنا إلى أنه سيخرج بنحو ٩٥ حالة من هذه العمليات بنجاح فإذا ما سأله: يا دكتور ما نسبة احتمال النجاح فى هذه العملية فإنه يجيبك ٩٥ فى المائة، ويكون مطمئنا لجوابه، ولكنك إذا سأله: يا دكتور ما نسبة احتمال النجاح فى العملية التى ستجريها لفلان؟ فإنه يصمت ولا يجيبك، لأنه يعجز عن معرفة النسبة الاحتمالية.

هذا المثال يوضح معنى القانون فى ألفا -يقصد الصدفه- تتصل بالمقادير الكبيرة، والكثرة العددية، ويكون مفهوم سنة الصدفه وجه الاحتمال فى الحدوث، ويكون السبب النتيجة من حيث هما مظهران للصلة بين حادثين فى النطاق الخاضع لقانون العدد الأعظم الصدفى حالة إمكان محض.

ومعنى هذا أن السببية صلة إمكان بين شيئين يخضعان لقانون العدد الأعظم الصدفى، فمثلا لو فرضنا أن الدش أتى مرة واحدة من ٣٦ مرة أعنى بنسبة ٣٦: ١ مرة فى الواقع نحن نكون قد كشفنا عن صلة إمكان بين زهر النرد ومجئ

الاحتمال، و "ص" رمزا للنهائية كانت المعادلة الدالة على هذه الحالات:

ح = ص

وعالمنا هذا لا يخرج عن كونه كتابا من هذه الكتب، له وحدته ونظامه وتنظيمه إلا أنه تابع لقانون الصدفة الشاملة^(١).

وقبل أن أتناول هذا النص بالتحليل والتعليق أعلن عن اعتذاري لطوله، ولم يكن أمامي مفر من اقتباسه كله حتى تكون رؤيته واضحة أمام أعين القراء الكرام، وحتى لا تنتهم هذه التهم الجاهزة سابقة التصنيع من عينة: التفتيش في ضمائر الناس، وبتري النصوص، أو إخراجها من سياقها.. إلى آخر هذه التهم الباطلة؛ ولهذا أكرر ها هو النص بتمامه وكماله أمام الجميع دون أن تزيد عليه أو تنقص منه حرفا واحدا، وقبل كل شيء أود لفت الأنظار إلى هذه

(١) لماذا أنا ملحد؟ ص ٧، ٨، وللمصادفة أنواع منها: المصادفة المطلقة والمصادفة النسبية، فالمطلقة أن يوجد شيء بدون سبب إطلاقا، والنسبية تعبر عن غياب القصد المدبر، والمصادفة المطلقة مستحيلة، لأنها تتعارض مع مبدأ النسبية، والنسبية ليست كذلك... انظر: مفهوم الاحتمال في فلسفة العلم المعاصرة د. حسين علي ص ١٦٤.

العملية التافهة التي قام من خلالها إسماعيل أدهم بشرح قانون الصدفة، والتي اختار فيها لعبة الطاولة^(٢) للتعبير من خلالها عن هذا القانون الذي يفسر - من وجهة نظره - خلق العالم.

أرأيت عزيزي القارئ إلى أية درجة بلغ الاستخفاف بهذا المسخ، قضية خلق العالم التي هي أهم القضايا الكونية لارتباطها بوجود الخالق عز وجل استرلها هذا الملحد من سياقها الأسامي، وهبط بها إلى دركها الأسفل إلى ميدان اللهو واللعب، قضية هذا الحجم، وهذا القدر من الخطورة أصبحت كعبة الطاولة، وكأن لسان حاله يقول: هيا بنا نلعب!!، ورغم هزله فقد كانت أمامه فرصة للعودة إلى الهدى من خلال المثال الذي اختاره بل والمثال التالي له كما سنوضح فيما بعد.

ولن ندخل معه في مهاتراته، ولن نشترك معه في لعبته المختارة ولن نجلس معه إلى مائدة بل سندخل مباشرة إلى ما ختم به المثال في قوله: "فإذا أتى الدش مرة من ٣٦ مرة لما عد ذلك غريبا؛ لأنه

(٢) لعبة الطاولة: زهر النرد، النظر: المعجم الوجيز - إصدار مجمع اللغة العربية.

عن قصه الخلق، أو عن قضية الخلق التي يجهل كل شيء عنها على ما يزعمه من باب التخرص والتخمين، والافتراضات الرياضية، والأمثلة الهزلية التي استعاض من خلالها باللعب عن الجدل، وارتضى اللهو بديلا عن العلم.

فإذا كان الطبيب يستطيع الإجابة عن نسبة الاحتمال إذا اتسمت بالعموم، ويعجز عن الإجابة إذا ضاقت الدائرة فإن أدهم أكثر عجزا منه؛ لأن قضية الخلق لا يجوز معها التخمين، ولا يصلح إخضاعها للصدفة، ولا ينبغي التعامل معها بقانون الاحتمالات، وكان الأولى بإسماعيل أدهم أن يعلن عن عجزه هو بدلا من عجز الطبيب، ولكن هيات أن يصنع ذلك وقد طبع الله تعالى على قلبه، ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾^(١).

ولكي يسر نفسه الإفلات من هذا المأزق العقلي الواضح فإنه يقوم بالفرار من المواجهة بحجة أن نسبة الاحتمالات، وصلاحيه قانون الصدفة تعملان في الأعداد الكبيرة فقط دون الأعداد الصغيرة، ثم قام باختراع قانون

محتمل الوقوع، ولكن ليس معنى ذلك أن الدش لا بد من مجيئه؛ لأن هذا يدخل في باب آخر قد يكون باب الرجم، وهنا نبه على هذه الصغرة الكاشفة عن عورة هذا المثال الذي أتى به للبرهنة على خلق العالم بناء على قانون الصدفة، وهي اعترافه بانعدام الضرورة في مجيئ الدش؛ لأن الأمر لا يعدو دائرة الاحتمال فقط، وشجاعته بهذا الاعتراف توازت مع جبنه عن الاعتراف بالخالق عز وجل الذي اكتفى معه بالفرار - كما هي عادته - متدعيا بأن القول بالضرورة يدخل في باب الرجم بالغيب، إلا أنه جبن عن نطق كلمة الغيب؛ لعدم إيمانه به وهو أول باب من أبواب الدخول إلى العقيدة الصحيحة.

نأتي إلى المثال الثاني وهو: جراحة استئصال الزائدة الدودية؛ واحتمالات نسب النجاح فيها، ونكتفى بإحدى الفرضيات التي ساقها في صيغة سؤال للطبيب الذي يقوم بهذه الجراحات: ما نسبة احتمال النجاح في العملية التي ستجريها لفلان؟ فإنه يصمت ولا يجيبك؛ لأنه يعجز عن معرفة النسبة الاحتمالية، وإن أدهم كان وسيبقى أولى بالعجز من هذا الطبيب؛ لأنه يتحدث

(١) سورة غافر: الآية ٣٥.

وهي لم يقل به سواه، وهو ما أسماه "قانون العدد الأعظم الصدي" !!، وهذا القانون هو الذى يبرر به عجزه عن مواجهة الحقائق الكبرى؛ حيث إنه لم ينجح فى المواجهة، فبحث عن النجاح عن طريق اجترار القول بهذا القانون العجيب، فهو يقول مثلاً: "وكلما عظم مقدار "س" فى المعادلة (ن + س) تحدد مقدار "ح" أى النسبة الاحتمالية، وذلك خضوعاً لقانون الأعداد العظمى فى حسابات الاحتمال، ومعنى ذلك أن قانون الصدفة يسرى فى المقادير الكبيرة".

وهو بهذا الزعم يقف ضد العقل وضد العلم وضد الرياضيات، يقول الشيخ نديم الجسر: "مضى تضخم النسبة العددية تضخماً هائلاً يصبح حظ المصادفة فى حكم العدم"^(١) "على عكس ما ادعاه ذلك المغرور، ثم يزيد الشيخ الجسر القضية وضوحاً بقوله: "لو فرض أنك تملك مطبعة فيها نصف مليون حرف مفرقة فى صناديقها فجاءت هزة أرضية قوية قلبت صناديق الحروف

(١) الشيخ نديم الجسر: قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ص ٢٩٤.

على بعضها وبغيرها وخلطها، ثم جاءك منضد الحروف يخبرك أنه قد تألف من اختلاط الحروف بالمصادفة عشر كلمات مفرقة غير مترابطة المعاني فهل كنت تصدق؟

- نعم أصدق.

- ولكن لو قال لك: إن الكلمات العشر تؤلف جملة كاملة مفيدة، فهل كنت تصدق؟

- أستبعد ذلك جداً، ولكن لا أراه مستحيلاً.

- ولكن لو أخبرك أن حروف المطبعة بكاملها كونت عند اختلاطها بالمصادفة كتاباً كاملاً من (٥٠٠) صفحة ينطوى على قصيدة واحدة تؤلف بمجموعها وحدة كاملة مترابطة متلائمة منسجمة بالفاظها وأوزانها وقوافيها ومعانيها ومغازيها فهل كنت تصدق؟

- أبداً لا أصدق.

- أتدرى لماذا؟ لأن التزامن بين حروف الكتاب يجرى بين (٥٠٠) ألف حرف على تكوين (١٢٥) ألف كلمة تقريباً بأشكال وترتيبات لا تعد ولا تحصى أبداً، وهذا ما يجعل حظ المصادفة بنسبة واحدة ضد عدد هائل جداً جداً لو قلت عنه: إنه مليار مليار

مليار مليار لكان قليلاً... فإذا كان هذا فى كتاب المطبعة، وكلماته المحدودة المحدودة فما قولك فى كتاب الله الأعظم، وكلماته التى يقول عنها جلت قدرته: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلَّمْتُ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾^(١)، ويقول: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أُخْرٍ مَا تَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ...﴾^(٢) (٣).

ويسوق الأستاذ سعيد حوى نفس المثال، ويعلق عليه بقوله: "إن النتيجة هائلة لدرجة أن نسبة الاحتمالات فى حدوث ذلك لا تحيط بها أرقام اللغة. ولكى نعرف معنى كلمة (٥٠٠) ألف حرف و (١٢٥) ألف كلمة و (٢٨) حرف هجائى لندرس هذا النص: "إن البروتينات من المركبات الأساسية فى جميع الخلايا الحية، وهى تتكون من خمسة عناصر هى: الكربون والهيدروجين

(١) سورة الكهف: الآية ١٠٩.

(٢) سورة لقمان: الآية ٢٧.

(٣) قصة الإيمان ... ص ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦. بتصرف.

والنيتروجين والأوكسجين والكبريت، ويبلغ عدد الذرات فى الجزيء البروتينى الواحد (٤٠٠٠٠) ذرة، ولما كان عدد العناصر الكيماوية فى الطبيعة (٩٢)^(٤) عنصراً موزعة كلها توزيعاً عشوائياً، فإن احتمال اجتماع هذه العناصر الخمسة لكى تكون جزيئاً من جزيئات البروتين يمكن حسابه بمعرفة كمية المادة التى ينبغى أن تخلط خلطاً مستمراً لكى تؤلف هذا الجزيء، ثم لمعرفة طول الفترة الزمنية اللازمة لكى يحدث هذا الاجتماع بين ذرات الجزيء الواحد.

وقد قام أحد العلماء بحساب هذه العوامل جميعاً فوجد أن الفرصة لا تنهأ عن طريق المصادفة لتكوين جزيء بروتينى واحد إلا بنسبة (١) إلى (١٠)^{١٦} أى بنسبة واحد إلى رقم (٦٠) مضروباً بنفسه (١٦٠) مرة، وهو رقم لا يمكن النطق به أو التعبير عنه بكلمات، وينبغى أن تكون كمية المادة التى تلزم لحدوث هذا التفاعل بالمصادفة أكبر مما يتسع له الكون بملايين المرات^(٥) هذه العمليات المستحيلة تتحول استحالتها إلى إمكان

(٤) كان ذلك سابقاً على اكتشاف بعض العناصر الأخرى.

(٥) سعيد حوى: الله جل جلاله ص ٢٤.

عند الملحد إسماعيل أدهم عن طريق اختراعه العجيب المرتبط بقانون الصدفة الرياضي، وهنا نستكمل التعليق ولكن من خلال حديث وحيد الدين خان: "إن جزئ البروتين يتكون من سلاسل طويلة من الأحماض الأمينية وأخطر ما في هذه العملية هو الطريقة التي تختلط بها هذه السلاسل بعضها مع بعض؛ فإفها لو اجتمعت في صورة غير صحيحة لأصبحت سمّاً قاتلاً بدل أن تصبح موجدة للحياة.

لقد توصل أحد العلماء إلى أنه يمكن تجميع هذه السلاسل فيما يقرب من — صورة وطريقة، ثم يقول: إنه من المستحيل تماماً أن تجتمع هذه السلاسل — بمحض الصدفة — في صورة مخصوصة من هذه الصور التي لا حصر لها حتى يوجد الجزئ البروتيني الذي يحتوي أربعين ألف من أجزاء العناصر الخمسة.

ولابد أن يكون واضحاً أن القول بالإمكان في قانون الصدفة الرياضي لا يعنى أنه لا بد من وقوع الحادث الذي نتظره، وإنما معناه أن حدوثه محتمل لا بالضرورة، فمن الممكن على الجانب

الآخر من المسألة أن لا يحدث شيء ما بعد تسلسل العملية إلى الأبد^(١).

هذا الجزئ البروتيني ذو وجود "كيماوي" لا يتمتع بالحياة إلا عندما يصبح جزءاً من الخلية؛ فهنا تبدأ الحياة، وهذا الواقع يطرح أهم سؤال: من أين تأتي الحرارة عندما يندمج الجزئ بالخلية؟^(٢).

ولا جواب عن هذا السؤال ل أسفار المعارضين الملحدين.

إن من الواضح الجلي أن الضرر الذي يزعمه هؤلاء المعارضون متسترين وراء قانون الصدفة الرياضي لا ينطبق على الخلية نفسها، وإنما على جزء صغير منها هو الجزئ البروتيني وهو ذرة لا يمكن مشاهدتها بأقوى منظار بينما يعيش وفي جسد كل منا ما يربو على أكثر من مئات البلايين من هذه الخلايا^(٣).

ولكن هل آمن إسماعيل أدهم بوجود الله تعالى ذاته، وأقر به حق يقتنع بهذه الاجتهادات العلمية المبينة على التجارب المعملية والملاحظات العملية.

(١) وهذا ما أقر به الملحد إسماعيل أدهم، ولكنه لم يرتب على إقراره شيئاً إيجابياً، أو أمراً إيجابياً.

(٢) وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى ص ١٠٢.

وهناك تجربة في معسكر الإلحاد الأخر تعتبر الجانب التطبيقي لذلك الذي تغيّاه هيكل حيث "عهد ستالين إلى أوبارين رئيس الأكاديمية العلمية السوفيتية أن يثبت علمياً أن الحياة نشأت "تلقائياً" من المادة دون الاحتياج إلى فرض قوة أخرى "الله" وراء عمليات الخلق.

وظل أوبارين وزملاؤه يواصلون العمل طوال عشرين سنة وفي عام ١٩٥٥م خرج أول تقرير يقول فيه أوبارين: "إن النجاح الذي حققته علوم البيولوجيا السوفيتية حديثاً يزيد الوعد بأن مسألة خلق كائنات حية بطرق صناعية ليس ممكناً فحسب، بل سيتحقق عما قريب !!".

وظل العالم ينتظر تحقيق الوعد، ومات ستالين، وفشل أوبارين، وأعلن في عام ١٩٥٩م عن فشله قاتلاً: "إن جميع المحاولات التي أجريت لتوليد الحياة من مواد غير عضوية سواء تحت ظروف طبيعية أو في المعمل قد باءت بالفشل.

وإن في الإمكان توليد الحياة بشرط أن تكون المحاولة على كوكب غير الأرض، وذلك نظراً لأن ظروف الأرض الحالية لم تعد مهيأة لذلك".

إنه لا يقتنع إلا بأفكاره هو، وتخرصات سادته وأساتذته من الضالعين في الإلحاد أمثال هكسلي، وهيكل زميليه في الإلحاد، وشقيقه في النسب بالحداد ثلاثتهم من أصلاب القردة العليا اتساقاً مع نظرية التطور التي يدينون بها جميعاً.

فهكسلي هذا يقول: "لو جلست ستة من القردة على آلات كاتبة، وظلت تضرب على حروفها لملايين السنين فلا نستبعد أن نجد في بعض الأوراق الأخيرة التي كتبوها قصيدة من قصائد شكسبير، فكذلك كان الكون الموجود الآن نتيجة لعمليات عمياء ظلت تدور في المادة لبلايين السنين^(١)".

ويتفق هذا الخرف مع طرح إسماعيل أدهم في النتيجة النهائية إلا أن هكسلي عزا ظهور قصيدة شكسبير إلى ضرب أجداده من القردة على الآلات الكاتبة بينما أدهم يقول بظهور القرآن وكتاب أصل الأنواع عن طريق الصدفة أو كما يسميه قانون العدد الأعظم الصدي، وهيكل يقول: "ايتوني بالهواء وبالماء وبالأجزاء الكيماوية وبالوقت وسأخلق الإنسان"^(٢).

(١) السابق: ص ٩٩.

(٢) نفسه: ص ١٠٨.

فانظر كيف زين الشيطان لأوبارين طريق الهروب من الإيمان، وماذا كان عليه لو استسلم لتلك الحقيقة الجبارة بدلا من التمادي في الضلال^(١) ١٩

يبد أن أوبارين هذا رغم تمادييه في الضلال وفقا لوصف الدكتور المطعنى "ينفى كليا رأى القائل بأن الصدفة هي المكونة للحياة في قوله: "إن شبكة التفاعلات للتحويل العشوائي ليست منسقة بإحكام فقط بل إنما موجهة أيضا نحو الحفظ الذاتي الدائم للمجموعة في الظروف المتوافرة للبيئة الخارجية، هذا التوجيه المنسق بقوة، وهو المميز للحياة لم يكن وليد الصدفة"^(٢) حتى أوبارين المادي الملحد قام بنفى الصدفة التي أحل قانونها إسماعيل أدهم محل الإيمان بالله عز وجل، وطقى يدلل عليها بأدلة متهافة، والأمثلة التي ساقها للبرهنة على قانونه الباطل قام غيره من العلماء باستخدامها وتوظيفها، ولكنهم وصلوا من خلال ذلك إلى نتائج مغايرة للتي وصل إليها، وماذا كان يضره لو أنه

(١) الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة ص ٣٢٧، ٣٢٨.

(٢) د. موريس بوكاي: أصل الإنسان بين العلم و الكتب السماوية ص ٥٦ ترجمة فوزى شعبان.

بدلا من الإيمان بما أسماه "قانون العدد الأعظم الصدي" آمن بالخالق الأعلى سبحانه وتعالى، ربما منعه من ذلك كرهه وعناده وهيمنة سادته عليه.

إلى جوار ما سبق أن استشهدنا به على استحالة الصدفة من خلال احتمالات ظهور موضوعات ذات معنى من خلال وضع مناسبات الألفوف من الحروف في صناديق نسوق هذه التجربة التي أجريت فعلا -لا فرضا- في مركز بحوث الاحتمالات البيولوجية في الولايات المتحدة الأمريكية على الحروف الأبجدية.

في هذه التجربة سحبت ٣٠ ألف نسخة من الحروف الأبجدية الإنكليزية البالغ عددها ٢٦ حرفا، وحسب الكلمات التي تفيد أى معنى من السحب العشوائي للحروف، وربت هذه الكلمات في جداول خاصة، وكانت النتيجة كما يلي:

الكلمات التي لها معنى والمتكونة من حرفين: عدد ٤٨٩٠ كلمة.

الكلمات التي لها معنى والمتكونة من ثلاثة حروف: عدد ١١١٣ كلمة.

الكلمات التي لها معنى والمتكونة من أربعة حروف: عدد ١٣٩ كلمة.

الكلمات التي لها معنى والمتكونة من خمسة حروف: عدد ١٧ كلمة.

الكلمات التي لها معنى والمتكونة من ستة حروف: عدد ٣ كلمات.

الكلمات التي لها معنى والمتكونة من سبعة حروف: كلمة واحدة فقط.

استنتج الباحثون من هذه التجربة ما يلي:

إن احتمال ظهور كلمة ذات معنى من التراص العشوائي للحروف يبدأ بالنقصان والهبوط إلى نسبة الربع أو الخمس كلما أضيف حرف آخر إلى الكلمة، وهذا يعنى أن احتمال تراص أربعمئة حرف بشكل عشوائي لتكوين جملة ذات معنى يتراوح بين ١ : ٤^{٥٠٠} إلى ١ : ٥^{٥٠٠} =^(١)

إن إسماعيل أدهم حاول إكساب قانون العدد الأعظم الصدي أهمية خاصة عن طريق عقد آصرة نسب و مصاهرة - إذا صح التعبير - بينه وبين الرياضيات، وقد ثبت بطلان ذلك بصورة قطعية، ورغم كثرة ما سقناه من نماذج تتشابه في صياغتها مع طرحه إلا

(١) شمس الدين آق بلوت: دارون ونظرية التطور ص ٤٦، ٤٧ ترجمة أورخان محمد على.

أن النتائج متناقضة تماما، فإننا الآن نسوق هذا النموذج المفترض لطرافته من ناحية ولتشابهه مع النموذج الذى طرحه هكسلى أحد الذين تأثر بهم ذلك الأدهم "إن تراص حروف "نظرية التطور" - هاتان الكلمتان فقط - يعامل الصدفة هو احتمال بعيد جدا.

لنكتب على قصاصات الورق الحروف من الألف إلى الياء، ولنضعها في كيس أو لنجلب آلة طابعة عليها الحروف الأبجدية فقط، ولنجلس أمامها قردا، ولنتصور أنه سيضرب على هذه الحروف عشوائيا، فما هو احتمال ظهور عبارة "نظرية التطور" عن طريق الصدفة؟

إن عبارة "نظرية التطور" تحتوى على ١١ حرفا، فاحتمال ظهور هذه العبارة عن طريق الصدفة هو بنسبة ١ : ٢٨^{١١} أى رقم ١ إلى رقم هائل جدا، ويتألف من ضرب العدد ٢٨ في نفسه إحدى عشرة مرة، ولكي تتصور مدى ضخامة هذا الرقم نقول بأنه يساوى تقريبا عدد الثواني المارة اعتباراً من أول خلق الكون حتى الآن، أى لو كان هذا القرد يضرب على هذه الآلة الطابعة مرة كل ثانية من قبل خمسة عشر مليار سنة

حقى الآن لكان هناك احتمال أن تظهر عبارة "نظرية التطور" بعامل الصدفة^(١).

وهكذا رأينا اتفاق العلماء - العقلاء - على استحالة ظهور شئ إلى الوجود عن طريق الصدفة مهما بلغت ضآلته كجزئ البروتين، أو عبارة من كلمتين، بينما لم يكتف أدهم بالترويج "لنظريته" في إمكانية قيام الحروف بتأليف بعض الكتب الشبيهة بالمؤلفات البشرية، بل والمولة من عند رب البرية كالقرآن الكريم، ولم يخرج الكون من افتراضاته تلك بل جعله خاضعا لهذا القانون الأخرق وقبل أن تناقشه في خرافاته تلك نتساءل سؤالا بريئا من أى غرض، ومباشرا دون تعميق أو تعجيز:

أين المؤلفات التى ظهرت عن طريق الصدفة منذ بدء الكون حتى الآن ١٢.

وأين المخلوقات التى ظهرت عن طريق الصدفة منذ بدء الخلق حتى الآن ١٣.

وقد قام سادتنا من العلماء والمفكرين بمناقشة القول بالصدفة وإبطاله، ولكن علينا قبل أن نسوق شهاداتهم نعلن استغرابنا من تبجح هذا

(١) السابق: ص ١٦، ١٧.

المسخ بنقد الذين من كبار علماء الرياضيات والطبيعة قد تعمق كل منهما في البحث حتى توصلا للإقرار بوجود الله عز وجل، وبطبيعة الحال فإن ذلك لم ينل إعجابه، ولم يحظ بتأييده، بل اتبع معهما أسلوب التسفيه والسخرية والتطاول الذى يجيده أمياده الشيوعيون، ولنقرأ معا ما كتبه في هذا الصدد: "يقول ألبرت آينشتاين صاحب نظرية النسبية في بحث قدم له: "منظرا إزاء العالم مثل رجل أتى بكتاب قيم لا يعرف عنه شئ، فلما أخذ في مطالعته، و تدرج من ذلك لدروسه، وبأن له ما فيه من أوجه التناقض الفكرى شعر بأن وراء كلمات الكتاب شيئا غامضا لا يصل لكنيه، هذا الشئ الغامض الذى عجز عن الوصول إليه هو عقل مؤلفه، فإذا ما ترقى به التفكير عرف أن هذه الآثار نتيجة لعقل إنسان عبقرى أبدعه.

كذلك نحن إزاء العالم فنحن نشعر بأن وراء نظامه شيئا غامضا لا تصل إلى إداركه عقولنا هذا الشئ هو الله".

ويقول السير جيمس جيو الفلكي الإنجليزي الشهير: "إن صيغة المعادلة التى توحد الكون هى الحد الذى تشترك له كل الموجودات، ولما كانت الرياضيات

تفسر تصرفات الحوادث التى تقع في الكون وتربطها في وحدة عقلية فهذا التفسير والربط لا يحمل إلا على طبيعة الأشياء الرياضية.

ومن أجل هذا لا مندوحة لنا أن نبحت عن عقل رياضى يتقن لغة الرياضة يرجع له هذا الكون، هذا العقل الرياضى الذى نلمس آثاره في الكون هو الله".

وأنت ترى أن كليهما (والأول من أساطين الرياضيات في العالم والثاني فلكى رياضى من القدر الأول) عجزا عن تصور حالة الاحتمال الخاضعة لقانون الصدفة الشاملة والتى يتبع دستورها العالم، لا شئ إلا لتغلب فكرة السبب والنتيجة عليهما^(١).

وبعد أن ساق مبرراته في تخطيطه كل من هذين العلمين، وهما يعبران عن تيار قوى أعلن إيمانه بالخالق عز وجل عن طريق العقل و العلم وحدهما دون الارتكاز على قاعدة دينية أو لاهوتية قام بإثاء رسالته عبارات تفيد الإصرار على الكفر، ولا تخلو من غرور كاذب، وكبر لا مبرر له يقول فيها: "إن الصعوبة التى

(١) لماذا أنا ملحد؟ ص ٩.

أرى الكثيرين يواجهونني بها حينما أدعوهم إلى النظر إلى العالم مستقلا عن صلة السبب والنتيجة، وخاضعا لقانون الصدفة الشامل ترد إلى قسمين:

الأول: لأن مفهوم هذا الكلام رياضى صرف، ومن الصعب التعبير في غير أسلوبه الرياضى، وليس كل إنسان رياضيا عنده القدرة على السير في البرهان الرياضى.

الثاني: ألما تعطى العالم مفهوما جديدا وتجعلنا ننظر له نظرة جديدة غير التى ألفناها، ومن هنا جاءت صعوبة تصور مفهوماتها؛ لأن التغير الحاد أساس يتناول أسس التصور نفسه.

ولهذه الأسباب وحدها كانت الصعوبة قائمة أمام هذه النظرية الجديدة، ومائعة للكثيرين عن الإيمان بها.

أما أنا شخصياً فلا أجد هذه الصعوبة إلا شكلية، والزمن وحده قادر على إزالتها، ومن هنا لا أجد بدا من الثبات على عقيدتي العلمية، والدعوة إلى نظريتي القائمة على قانون الصدفة الشامل الذى يعتبر في الوقت نفسه أكبر ضربة للذين يؤمنون بوجود الله^(٢).

(٢) السابق: ص ١٠.

وهكذا ختم إسماعيل أدهم رسالته كافرًا كما بدأها كافرًا ولا غم لك إلا أن نقول كما قال ربنا: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾^(١).

ونكتفي بعد هذا العرض والتحليل لوجهة نظر إسماعيل أدهم في الصدفة، وإيمانه بقانونها أن نستأنس برد أستاذنا الدكتور أحمد محمد الطيب الذي كتب يقول تحت عنوان: "استحالة الصدفة": "إن بعضًا ممن يوصفون بالعلم أو الفلسفة أو الفكر تستريح أذهانهم إلى مثل هذا التصور الشاذ بل المستحيل، ويقولون: إن هذا الكون لم يوجد موجد، وإنما حصل هكذا عن طريق الصدفة قائلين: إن ملايين الملايين من الذرات اللانهائية كانت تتحرك في فضاء لا نهائي وفي أزمنة سحيقة لا نهائية، ولم تكن في تحركاتها هدف إلى غاية معينة، وإنما تتحرك حيثما اتفق، وكيفما تيسر، وفجأة التحمت هذه الذرات بعضها ببعض فتكون منها في بادئ الأمر كتلة ضخمة جدا، وأثناء التحرك العشوائي لهذه الكتلة الهائلة حدث أن اصطدمت بالشمس وانقسمت إلى أجزاء كثيرة،

(١) سورة الروم: الآية ٤.

ومن هذه الأجزاء تكونت الأرض والأجرام والكواكب، وتشكلت المنظمة الشمسية التي نعرفها الآن.

وبرغم غرابة هذا التفسير ولا معقوليته فإن طائفة من ملاحدة العلماء قد تشبثوا به وروجوا له الأكاذيب خدمة للإلحاد وسعيًا لإحلال العلم محل الدين^(٢)، والإيمان بالله تعالى، ولم يستبصروا من دلائل الكون شيئًا يلفت نظرهم إلى الله تعالى، فقالوا: إن الوجود كله وليد الصدفة^(٣)، ثم يقول الدكتور الطيب بنقد مقولة الصدفة من ناحيتين: ناحية الدليل العقلي، وناحية الدليل الرياضي.

أما الدليل العقلي:

فهو استحالة ولادة "النظام" من "الفوضى" أو مجي الحكمة من العبث والصدفة إنما تعني انعدام القصد، وتعني العبث والفوضى والتشويش، وهنا الكون - باعتراف الماديين أنفسهم - مبني على نظام دقيق وإحكام مذهش،

(٢) انظر الدراسة القيمة التي أعدها أستاذنا الدكتور يحيى هاشم حسن فرغل تحت عنوان: "مواجهة الإلحاد المعاصر وعقائد العلم".

(٣) د. أحمد محمد الطيب: بحوث في العقيدة الإسلامية ص ٢٤٨.

حدوث أي اضطراب أو تغيير في هذه الظواهر إنما يعني توقف هذه الحياة ونهايتها الفورية.

٢- الخطوة الثانية: هذا

التوافق والانسجام المطرد بين ملايين الظواهر الطبيعية من جانب ومهمة تيسير حياة الإنسان من جانب آخر يمكن تفسيره بفرضية واحدة فقط هي: وجود صانع حكيم قصد إلى توفير عنصر الحياة على الأرض من خلال تشابك هذه الظواهر العديدة. ويزداد احتمال هذه الفرضية ويتراكم مع كل حال أو مثال من أمثلة التوافق بين الظاهرة الطبيعية وظاهرة الحياة بحيث تصبح درجة احتمال التفسير بوجود صانع حكيم درجة عالية جدا.

٣- الخطوة الثالثة: في مقابل

ذلك لو حاولنا تفسير كل هذه التوافقات في أمثلتنا اللاهائية بفرضية الصدفة فسوف نضطر إلى افتراض ملايين الملايين من الصدف، ومع كل حالة أو مثال سوف نقبض درجة الاحتمال حتى تصبح صفراً.

وهكذا مع صعود "احتمال" فرضية الصانع وهبوط "احتمال" فرضية الصدفة يـرجح العقل

وتأليف بديع يقصد إلى غاية ظاهرة هي توفير الشروط اللازمة لحياة الإنسان والكائنات الحية، وما يترتب على هذه الحياة من آثار وأفعال، ومن البديهي أن يستلزم عنصر القصد في نظام الكون "عقلا" أو يستلزم "علما".

إن مقولة الصدفة فوق أنها تصمت عن إجابة السؤال المتعلق بنشأة الكون إجابة منطقية فإنها تصدم بديهية العقل ومبدأه الأول وهو مبدأ "السببية".

وكل قول يصادم هذا المبدأ الفطري المركز في نفوس الناس جميعا فإن العقل هو أول من يحكم عليه بالزيف والتدليس.

والدليل الرياضي:

الذي يحيل مقولة الصدفة وينسفها من الجذور هو دليل "حساب الاحتمالات"، وملخصه يقوم على خطوات ثلاث:

١- الخطوة الأولى: أننا نشاهد في الكون انسجاما مطرداً بين كل ظاهرة من ظواهر الطبيعة وبين حياة الإنسان، وبمحملنا ذلك على الاعتقاد بأن كل هذه الظواهر - على كثرتها الهائلة - مسخرة في اتجاه تيسير حياة الإنسان ككائن حي، ودليلنا على ذلك: أن

— بدرجة لا يشوبها الشك — الاحتمال الأول ويستبعد كلية الاحتمال الثاني، ونصل في النهاية إلى النتيجة القاطعة وهي أن للكون صانعا حكيما بدلالة كل ما في هذا الكون من آيات الاتساق والتدبير^(١).

وهذه النتيجة التي توصل إليها أستاذنا الدكتور الطيب ستكون إحدى الأفكار الرئيسية في خاتمة هذا البحث إن شاء الله رب العالمين.

وقبل أن نصل إلى ختام هذه الفقرة نحيل القارئ إلى بعض المراجع التي عرضت موضوع القول بالصدفة وقضت بطلانه^(٢)، ثم نختم بقول عالم الطبيعة

(١) السابق: ص ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١.

(٢) انظر على سبيل المثال: العلم يدعو إلى الإيمان تأليف كريسي موريسون ص ٥١ الله

تأليف عباس محمود العقاد ص ١٧٧ .

الإسلام يتحدى

تأليف وحيد الدين خان ص ١٠٧ .

الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة

تأليف د. عبد العظيم المطعني ص ٣٦٦ .

الشهادتان: التوحيد والنبوة

تأليف الشيخ محمد الغزالي ص ٩ .

قضايا العصر في ضوء الإسلام

تأليف أنور الجندي ص ٤٣ .

دحض شبهات ومفتريات حول الإسلام

تأليف عبد المنصف محمود عبد الفتاح

ص ١٩ ص ٢٦ .

الأمريكي جورج إيول ديفيس: "لو كان يمكن للكون أن يخلق نفسه — ادعى أدهم ذلك — فإن معنى ذلك أنه يتمتع بأوصاف الخالق، وفي هذه الحال سنضطر أن نؤمن بأن الكون هو الإله، وهكذا تنتهي إلى التسليم بوجود (الإله)، ولكن إلهنا هذا سوف يكون عجيبا: إله غيبا وماديا في آن واحد!!

إنني أفضّل أن أؤمن بذلك الإله الذي خلق العالم المادي وهو ليس بجزء من هذا الكون، بل هو حاكمه ومديره ومديره بدلا من أن أتبنى مثل هذه الخزعبلات^(٣)."

ولكن ما حيلتنا وقد حوّل إسماعيل أدهم الخزعبلات إلى نظريات!!! آمن بها ودعا إليها وهلك في سبيلها، والبرغم نجدله أتباعا يحاولون بعث جيفته، بترويج كفره، ونشر إخوانه دون قلب خاشع، أو دين وازع، أو ضمير مانع، أو نظام رادع، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(٣) الإسلام يتحدى ص ١٠٨، ١٠٩.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة المرهقة مع تجربة الملحد إسماعيل أدهم وجدت نفسي مضطرا لمناقشة بعض الأفكار الشائكة في هذه الخاتمة؛ مستعضا بذلك عن الخوايم التقليدية التي يقوم فيها الباحثون بإبراز أهم نتائج بحوثهم، وتوصيهم التي يرون ضرورتها في نهايات هذه البحوث، وقد كان من الميسر أن أحذو حذوهم، وأنجح بنفسي من عواقب هذه المسائل الحساسة، ولكن وجدت أن الخوض فيها — ولو بإيجاز — يعد من باب النصيحة لديني، والمرجو من القارئ العزيز أن يصبر معنا — أو علينا — حتى نهاية المطاف، وله من الله تعالى الأجر والثوبة، ومنا دعاء صادق، وعرفان بالجميل.

خطورة الإلحاد:

أود في البداية بأن أذكر القراء الكرام بأنه لولا قيام نفر من بني وطننا ببعث الجيفة من قبرها، وطبع كراسته ونشرها ما كان لنا أن نعيد ذكره في الناس؛ وذلك لفساد فكره، وخطورة رأيه، وشؤم أثره على عقائد المؤمنين، ولكننا بإزاء إعادة نشر كراسته "لماذا أنا ملحد؟"، والترويج لها، وحدث ذلك

بالتزامن مع إعادة طبع كتاب من تاريخ الإلحاد في الإسلام للدكتور عبد الرحمن بدوي^(١) وسواء أكان ذلك بقصد أم بغير قصد كان لزاما علينا أن نتصدى لهذه الموجة المارقة لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا.

وفي هذا السياق أود التذكير بالنهاية التي آل إليها مصير إسماعيل أدهم وهي الانتحار، فلو كان صادقا في زعمه بأن قلبه مطمئن بالإلحاد ما كانت هذه نهايته، إلا أن شأنه في هذا شأن غيره من الملحدون الذين كانوا "يحتاجون إلى العلاج النفسي حتى تزول عنهم أعراض المرض؛ وهذا سوف يعودون إلى طريق العلم والدين والفلسفة إلى (الإيمان بوجود الله تعالى).

فكل ما عند هؤلاء وساوس، وأمراض نفسية، وشياطين تصدهم دائما عن سبيل الحق، وتبقى لهم أنفهم على الحق.

وقد عبر القرآن الكريم عن الحالة النفسية التي يعيشها الملحدون، حالة الضيق والخوف والقلق فيقول ﴿فَمَنْ

(١) نشر دار الشعاع/القاهرة/الطبعة الثالثة ٢٠٠٧ م.

يُرِدُّ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحَ صَدْرَهُ
لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ
صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا
يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ
يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ (١)، وهكذا عبرت هذه
الآية الكريمة عن الحالة التي يعيشها
الملحد، وهي حالة القلق الرهيب الذي
يؤرقه دائما ويخيفه رغم نجاحه المادي،
ووصوله إلى أرقى أساليب التكنولوجيا
الحديثة، وهذا ما أيده الواقع العملي،
فقد ثبت أن أعلى نسبة للانتحار و
الجنون هي في أكثر دول العالم تقدما من
الناحية المادية (٢).

وقد نبه الباحثون والدارسون لعلوم
العقيدة، ومقارنة الأديان على خطورة
الإلحاد والملحدين على عقائد الناس،
وأجمعوا على وجوب التصدي لهم،
وضرورة مواجهتهم وردعهم درءا
للفتن، وذودا عن عقائد المؤمنين،
وتخليصا للمجتمعات من مفاسدهم
وأخطارهم، ونكتفى في هذه الفقرة
بالاستشهاد بوجهة نظر العلامة جمال

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢٥.

(٢) د. سعد الدين السيد صالح: العقيدة الإسلامية
في ضوء العلم الحديث ص ٨٥، ٨٦.

الدين الأفغاني الذي يتحدث عن
عقيدتي: الإيمان بالله واليوم الآخر،
ويرى "أن أول تعاليم الدهريين" (٣) إبطال
هذين الاعتقادين "الاعتقاد بالله،
والاعتقاد بالحياة الأبدية"، وهما أساس
كل دين، وآخر تعاليمهم الإباحة
والاشتراك، فهؤلاء القوم هم المساعون
في نفس بناء الإنسانية، وتلويثه في
ذيول السافيات يطلبون ضعفة أركان
المدنية، وفساد الأخلاق البشرية،
ويقوضون بذلك ما رفعه العلم وشادته
المعرفة فيهلكون الأمم بإطفاء حرارة
الغيرة، وإلحاد ربح الحمية.

هؤلاء جرائم اللؤم والخيانة،
وأرومات الرذالة والدناءة، وأحلاس
الحسة والنذالة، وأعلام الكذب و

(٣) الدهري: رجل دهرى: ملحد لا يؤمن
بالآخرة يقول ببقاء الدهر.

انظر: المعجم الوجيز - إصدار مجمع اللغة العربية
" الدهريون: وهم طائفة من الأقدمين، جعلوا
الصانع المدبر، العالم القادر، وزعموا أن العالم لم
يزل موجودا كذلك بنفسه، وبلا صانع، ولم يزل
الحيوان من النطفة، والنطفة من الحيوان، كذلك
كان، وكذلك يكون أبدا، وهؤلاء هم الزنادقة"

انظر: المنقذ من الضلال للإمام أبي حامد الغزالي
ص ٣٤٢-٣٤٦ تحقيق الدكتور عبد الحليم
محمود.

فيدفعهم كما تدفع الفضلات من
المعدة، أو الذئابة (٢) من المنخر، أو
النخامة (٣) من الصدر؛ لهذا نراهم وإن
حلوا بعض منازل الأرض من زمان بعيد،
وأيدهم بعض النفوس الحيثة من ذوى
الشوكة لأغراض سافلة إلا أنهم لم
يشتوا، ولم يتم لهم أمر، بل كان عارض
السوء منهم كسحاب الصيف كلما
ظهر تقشع، والنظام الحقيقي لنوع
الإنسان، وهو الدين لم يزل قاراً راسخاً
في جميع الأجيال، وعلى أى الأحوال (٤).

وما عبر به الأفغاني عما ينبغي
يعامل به هؤلاء الملحدون.

(٢) اللذئابة: المخاط يسيل من الأنف (انظر:
المعجم الوجيز).

(٣) النخامة: البلغم يلفظه الإنسان من حلقه
(انظر: المعجم الوجيز).

(٤) الرد على الدهريين ص ٩٣، يصنف أحد
الدارسين كتاب الأفغاني باعتباره (أول ردود
الفعل في القرن التاسع عشر تجاه الجانب
المتافيزيقي لفلسفة العلم الوائدة حيث يفرق
الأفغاني بداية بين الإلهيين والماديين القائلين بالأصل
المادى للكون وبفكرة الكمون، ثم ينتقل الأفغاني
إلى الحديث القائلين بفكرة الكمون والقائلين
بالأصل الواحد لكل الأنواع، ومنهم دارون) إلى

آخر أغراض الكتاب انظر: تاريخ وفلسفة العلم
في مصر منذ القرن التاسع عشر تأليف د. أحمد
عبد الجواد ص ٥٠ ص ٥٣

الإفراء، ودعاة الحيوانية العجماء،
محبتهم كيد، وصحبتهم صيد، وتوددهم
مكر، ومواصلتهم غدر، وصادقتهم
خيانة (١)....

ويسترسل الأفغاني في بيان
أخطارهم على المجتمعات البشرية،
ويطالب إبعادهم واستئصال تعاليمهم،
وفي ذلك يقول: "ولما كان نظام الأكوان
قد بنى على أساس الحكمة، ونظام العالم
الإنساني جزء من النظام الكوني أهم الله
نفوس البشر أن تفرغ إلى مقاومة أولئك
المفسدين "الدهريين" في أى زمان ظهوروا
ومدافعة ما يعرض من شرهم "كما
أهمهم الفزع من الحيوانات المفترسة،
والنفرة من الأغذية السامة"، وأنقض
حفاظ النظام المدني الحقيقي وهو الدين
لبذل الجهد وإفراغ الوسع في محو
آثارهم، واستئصال ما يفرسون من
تعاليمهم.

لا جرم أن مزاج الإنسان الكبير
"يعنى عموم النوع" بما أودع الله فيه من
الشعور الفطري، وهو أثر الحكمة الإلهية
العامية يمج أولئك الخونة، ولا يحتمل
وجودهم في باطنه.

(١) جمال الدين الأفغاني: الرد على الدهريين
ص ٩١ ترجمة الإمام محمد عبده.

إيضاحاً في الفقرة القادمة، ولكن الذي استرعى النظر من رؤيته لهم هو وجود أشباه لهم ونظراء في المجتمع من: علمانيين، وهائيين، وشيوعيين وغيرهم، يجمعهم قاسم مشترك واحد وهو العداء للدين؛ أي دين.

وإن تعجب فعجب قيام إحدى جرائد المعارضة بالاحتفال بهذا الأسبوع بذكرى مرور تسعين عاماً على الثورة الحمراء في أكتوبر ١٩٩٧ م بروسيا بإصدار ملف خاص تمجد فيه هذه الثورة ورجالها^(١)، وقد رأينا على صفحات هذا البحث استحالة الجمع بين الشيوعية وبين الأديان وخصوصاً الإسلام عندما كنا نتحدث عن الخلفية الثقافية للملحد إسماعيل أدهم، والآن نقول تعليقاً على هذا الصنيع السفه هؤلاء نفر المفتونين الذين غرقم الأمان، فباتوا يحتفلون بذكرى ثورة لم يكن لها نصيب من النجاح.

إن الأنظمة الشيوعية انهارت وتفككت في بلادها، واعترف أصحابها بفشلها، ويأتى من أتباعها لدينا من يحتفل بذكرائها غافلاً أو متغافلاً عما

صنعت به المتدينين سواء أكانوا مسلمين أم نصارى في البلاد التي حكمتها الأنظمة الشيوعية الكافرة، جاهلاً أو متجاهلاً الفصام الأبدى بين الشيوعية وبين الدين، و ما أصدق ما قاله الدكتور عبد المنعم النمر: "الشيوعية أخطر أنواع الغزو الثقافي أو الفكرى وقد ابتلينا هنا بهذا الغزو، ووجدنا من الماركسيين هنا انفصالاً تاماً عن مجتمعاتهم في دين وأمنهم ومصالحه الوطنية والقومية، حتى صاروا يمثلون في الداخل جزيرة منعزلة عن حوهم، وإن تكلموا لفهم وعاشوا بينهم، وتمنعوا بحيرات وطنهم....

إن الشيوعيين في أية دولة خطر على كيانها الداخلي؛ لأنهم لا يسترحون مبادئها ولا تقاليداً بقدر ما يسترحون اتجاهات روسيا أو الصين^(٢)."

إن المصريين مطالبون بالوعى والخطر من هذه التيارات الهدامة، والأحزاب المشبوهة التي تريد إعادة بعث الكفر بفجور وقاحة بالتليس على الناس بنشر الجوانب البراقة من

(٢) د. عبد المنعم النمر: الثقافة الإسلامية بين الغزو والاستغناء ص ٢٧٦، ٢٧٧

(١) جريدة الأهالي: الأربعاء ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٧ م.

دينه، المجاهرين بالولاء لغيره تلك النظرة اللاذعة التي ووجه بها الدهريون في حديث الأفغان، أو كما يقول الشيخ محمد الغزالي: "ينبغي أن يحاط اللثام عن وجوههم الكالحة، وأن تلقى الأضواء على وظيفتهم التي يسرها الاستعمار لهم، ووقف بعيداً يرقب نتائجها المرة^(٢)".

حظه الرحمة في الفقه الإسلامي، إسماعيل أدهم مرتد وليس في ذلك شك باعترافه هو بخط يده، وقد صودرت رسالته عن "مصادر التاريخ الإسلامي"، عند نشرها في عام ١٩٣٦ م؛ وذلك لجرائته وتطاوله على السنة النبوية المطهرة كما رأينا على صفحات هذا البحث، وإننا نستغرب - أولاً - لأن جرائته تحولت إلى وقاحة وفجور فانتقل من الهجوم على الحديث إلى الهجوم على مقام الألوهية بإعلان إلحاده، وإنكار وجود الله عز وجل في رسالته: "لماذا أنا ملحد؟"، ونشرها بعد عام واحد من نشر الرسالة المصادرة.

وما يزال ترك هذا الملحد حراً طليقاً في ذلك التوقيت دون إحالته إلى

وجهة نظرهم - هذه الثورة الحمراء دون التنبه إلى موقفها المعادى للدين حيث "لم يختلف الثنا في أن الإلحاد جزء من الشيوعية، كما لم يختلف الثنا في أن الشيوعية ترفض رفضاً باتاً أي تنظيم ديني للمجتمع الإنساني. وإنكار الشيوعية للدين يكبر ويصغر بمقدار تدخل الدين في المجتمع.

إذا كان الدين يكفى مثلاً بالجانب التعبدى والأخلاقي فإن الشيوعية سمع كفرها به - تراه عدواً محدود الخطر. أما إذا تدخل في المعاملات العامة و الخاصة واستكثر من الشرائع التي تضبط المجتمع على نحو معين، وتسوقه إلى وجهة بينة فإن العداوة هنا تمتد وتشتد.

لذلك لا تطبق الشيوعية الإسلام لأنه مع شبيهه للأديان الأخرى في الاعتراف بالألوهية واحترام الوحي يمتاز بهيمته على أزمة الحياة النفسية والاجتماعية، ومزجه التام بين أحوال القلب وأحوال الدولة^(١)".

وكم يتمنى الباحث من كل قلبه أن ينظر المجتمع المصري للمتطاولين على

(١) الشيخ محمد الغزالي: الإسلام في وجه الزحف الأحمر ص ١٩، ٢٠.

(٢) الشيخ محمد الغزالي: مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة ص ٢٣٨.

القضاء يشكل لغزاً محيراً يستعصى على الحل، وذلك بالمقارنة مع إحالة من هم أقل جرماً منه إلى القضاء كالدكتور طه حسين بسبب آرائه في كتابه "في الشعر الجاهلي"، والشيخ علي عبد الرازق بسبب آرائه في كتابه "الإسلام وأصول الحكم".

وإننا نستغرب -ثانياً- من هذا الحراك الفكري الذي سببه نشر هذه الرسالة الخفية، فيما بين أخذ ورد مع كبار مثقفي عصره مثل: أحمد زكي أبو شادي ومحمد فريد وجدى.

وإننا نستغرب -ثالثاً- من تباهى بعض مثقفي عصرنا هذا بمناخ الحرية الذي كان سائداً في ذلك الزمن الغابر، وتباكيهم على فقدانه في هذه الأيام حيث حرية الإبداع في زعمهم -مقيدة- ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَذِبُونَ﴾^(١).

(١) سورة المنافقون: الآية ١، أما عن نقالهم فلا نطابق بعض ما ورد في الحديث الشريف عليهم، هذا الحديث الذي رواه الشيخان عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أربع من كن فيه كان منافقاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر"، فالنفاق الآن في مصر

وإننا نستغرب -أخيراً- من إعادة نشر هذه الكراسة الإلحادية في منتصف هذا العام، فماذا يريد المروجون للكفر، المرجفون في المدينة، المثيرون للفتنة، المفسدون في الأرض؟.

وكم كنا نتمنى لو أن الشريعة الإسلامية كانت قد وجدت طريقها إلى هذا التوقيت -وخصوصاً في جانب الحدود- للتطبيق إذن لنال جزاءه العادل جراء رده عن الإسلام.

وحد الردة من القضايا التي يندلن حوله العلمانيون، وتتغنى برفض والتشكيك فيه منظمات المجتمع المدني، وجمعيات حقوق الإنسان في الداخل والخارج، ولسنا بحاجة إلى إيراد ما جاء في الفقه الإسلامي حوله بقدر حاجتنا إلى ذكر آراء العلماء المعاصرين فيه، والتي انتهت في طرحها لأمر واحد -على غير اتفاق فيما بينهم-، وهو: ضرورة إقامة الحد على المرتد إذا استعلن بكفره، وجاهر به، ودعا إليه بما يشكل خطورة على المجتمع وعلى أمنه وسلامته.

غير مبوق بدليل تطاول الكثرين على الذات الإلهية، وعلى السنة النبوية، وعلى الرموز السياسية والدينية، وليس أدل على ذلك من الأحكام الصادرة ضد نفر من هؤلاء، ومازالوا ينظرون، ومازالوا في خوضهم بلبون.

طالما أنه قد ستر "عورة الإلحاد" كي لا تشيع فاحشتها في مجتمع المؤمنين.

أما إذا كان الإلحاد فكراً ورسالة يدعو إليها الملحدون ويشيعونها بين الناس فتلك قضية أخرى تتجاوز نطاق "حرية الاعتقاد" إلى العمل على تدمير "النظام العام" في المجتمع الإسلامي؛ إذ الإيمان واحد من أبرز سمات هذا النظام^(٢).

وهؤلاء يرى الدكتور عمارة إقامة حد الردة عليهم؛ لأن ردقهم "أشبه ما تكون بجرعة "الحرابة" التي هي محادة لله ولرسوله ولجماعة المؤمنين.. إنما إعلان الحرب على الإيمان كنظام للاجتماع الإسلامي، تجعل من المرتدين معول هدم للنظام الإسلامي.

وليس سرا ولا هو مما تخفى دلالاته عند الفقهاء الذين قرروا للردة حداً - هو القتل بعد الاستنابة - قد استندوا إلى الحديث النبوي لا إلى القرآن الكريم، وأن الحديث الذي استندوا إليه لا يدع مجالاً للشك في أن هذا هو معنى الردة التي تستحق هذا العقاب؛ لأنها إعلان

وقد نبه الشيخ محمد الغزالي إلى هذه الخطورة بقوله: "ونحن ما في طاعتنا أن نمنع الارتداد، فليذهب إلى الجحيم من أراد^(١).

لكن الذي في طوقنا أن نذكره، وأن نكرهه أن هؤلاء المرتدين يغفون فساد جمهور الأمة بالقوة، فهم يستغلون السلطات التي سرقوها لنشر الإلحاد والاضلال، وتفريغ القلوب مما بها من إيمان بالله وطاعة له^{(٢) (٣)}.

وفي معالجة دقيقة يفرق الدكتور محمد عمارة بين الملحد الذي ستر إلحاده، وبين الذي جعله فكراً ورسالة، وذلك في قوله: "الشاك نتيجة للتأمل والنظر إذا قاده هذا الشك إلى الإلحاد بدلا من الإيمان لا تثريب عليه إسلامياً إن هو لم يقصر في طلب الهداية والرشاد

(١) للدكتور محمد سليم العوا رأى مشابه أعلنه ضمن حديث صحفي قال فيه بالحرف الواحد: "...هو الذي ما يدخل الإسلام في نظر المسيحية هايرج النار؟

ما تسيه يروح النار! انت خايف عليه ليه؟

وفي نظر المسلمين: المسلم الذي ما يدخل المسيحية ها يروح فين؟ النار!!

ما يروح فينتين داهية عايزين منه إيه؟!!

جريدة الدستور: الأربعاء ١٩ سبتمبر ٢٠٠٧م.

(٢) الإسلام في وجه الزحف الأحمر ص ٥٥.

(٣) د. محمد عمارة: الغزو الفكري: وهم أم حقيقة ص ١٥٩، ١٦٠.

وإشاعة للفاحشة، ومحاربة للأمة، والتحاق بمعسكر العدو في ظل ملابسات الصراع ومخاطره، ففيها مفارقة للجماعة المؤمنة، ودعم لمعسكر الأعداء، ففيما رواه الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمر قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "والذي لا إله غيره لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة." (١).

وهذا هو نفس طرح أستاذنا الدكتور محمود زقزوق الذي يرى "أن لكل إنسان الحق في أن تكون له آراؤه الخاصة حتى لو كان ما يعتقد في نفسه أفكاراً إحادية؛ ولهذا فإنه لا يجوز العدوان على إنسان أو أيداؤه بسبب آرائه، ولسنا مأمورين بأن نفتش في صدور الناس عن معتقداتهم الدينية.

كما أن هذه الحماية العامة لحرية الرأي والعقيدة تقوم طالما احتفظ الفرد برأيه لنفسه، أما إذا أراد أن ينشر على الملأ بأية وسيلة من وسائل النشر آرائه

(١) السابق: ص ١٦٤، ١٦٥.

الخاطئة التي تناقض معتقدات وأخلاقيات مواطنيه فإنه في هذه اللحظة يخرج على النظام العام للدولة التي يعيش فيها؛ لأن آراءه الخاطئة يمكن أن تشر الشك بين مواطنيه مما قد يؤدي إلى إحداث بلبلة وإثارة فتنة، وكل من يسلك هذا المسلك في أى مكان في العالم يعاقب بل قد توجه إليه قمة الخيانة العظمى؛ لا لأنه ارتد عن عقيدته، وإنما لأنه يثير فتنة في المجتمع نتيجة نشر أفكاره، ولأنه يخرج بذلك على النظام العام في الدولة" (٢).

(٢) د. محمود حمدي زقزوق: الإسلام والخطايا الحوار ص ٢٠٦.

انظر مزيداً من الآراء الفقهية حول حد الردة في: - نحن والغرب تأليف الدكتور يوسف القرضاوى ص ٥٧ ص ٦٧

- محاكمة المرتدين تأليف أحمد السيول، والكتاب كله مهم لاشتماله على الملف الكامل لشهادتي الشيخ محمد الغزالي والدكتور محمود مزروعة في قضية لوج فودة وردود الأفعال التي لجرت قضية الردة، والأحكام الفقهية حول حد الردة.

- قراءة في كتاب حرية الاعتقاد في القرآن الكريم - دراسة في إشكاليات الردة والجهاد والحزبية للدكتور عبد الرحمن حنلى - قراءة الدكتور حسن أحمد الخطاف. بحث منشور بمجلة

مثلما حدث في قضية المواطن محمد أحمد حجازي" (١).

وقد نفى الدكتور زقزوق التهمة وجهر بالحق في بلادهم ولم يخف في الله لومة لائم، فقال في حديثه لمجلة أوسنا بروكر الألمانية: "إن كل مواطن في مصر له حق في اعتناق الديانة التي يرغبها؛ لأنه لا إكراه في الدين بشرط أن لا يدعو الآخرين للحذو به، ويتسبب في إثارة القلاقل الدينية و السياسية في البلاد، ففي هذه الحالة يجب معاقبته وتقديمه للمحاكمة" (٢).

وجود الله عز وجل:

قبل أن أتحدث عن هذه القضية الحورية أحيل القارئ الكريم إلى بحثين موجزين تناول كل منهما هذه القضية بالدرس والتحليل، وهما: أدلة وجود الله تعالى في ضوء العقل والنقل (٣) لأستاذنا الدكتور محمد على عز العرب السماحي، والثاني: اهتمام الخطاب

وذلك الذي حذر منه الدكتور محمد عمارة والدكتور محمود زقزوق صنعه إسماعيل أدهم. ينشر إحداه على الملأ في عام ١٩٣٧م، وهو ما يعيده مسوخ هذا الزمان بإعادة نشر كفسره في هذا العام (٢٠٠٧م)، وكأنهم يحتفلون بمرور ستين عاماً على نشرها الأول مثلما احتفلوا بالذكرى التسعين للثورة الحمراء في أكتوبر (٢٠٠٧م).

واللافت للنظر في سياقنا هذا أن الدكتور محمود زقزوق وهو أحد رواد الحوار الحضاري الكبار، وأحد أكثر علماء الإسلام اعتدالاً ووسطية تعرض لحملة ألمانية في هذه الأيام تتهمة بتقويض الحريات الدينية، فقد "شنت الجمعية الدولية لحقوق الإنسان في فرانكفورت حملة عليه اتهمته فيها على لسان رئيسها كارل هافن بالدعوة في كتاباته وتصريحاته لوسائل الإعلام إلى معاقبة من يعتنق المسيحية من المسلمين بالإعدام

الشرعية والدراسات الإسلامية / جامعة الكويت ص ١٧ ص ١٢١.

- جريدة عقيدتي/ القاهرة الثلاثاء ١٤ أغسطس ٢٠٠٧م

- جريدة الدستور/ القاهرة الأربعاء ٢٢ أغسطس ٢٠٠٧م.

(١) جريدة الأهرام/ القاهرة السبت ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٧م.

(٢) السابق: نفسه.

(٣) هذا البحث منشور بحولية أصول الدين/ القاهرة العدد السابع سنة ١٩٩٠م ص ٣٤٣ ص ٣٩٢.

القرآني بقوى الإدراك الإنساني وأثره في الفكر الإسلامي^(١) لكاتب هذه السطور فضلا عن كتاب الدكتور محمد عبد التواب الذي أشرنا إليه فيما سبق، وهو: "وجود الله تعالى بين الفطرة والدليل"^(٢).
إن قضية الألوهية، أو الإيمان بقوة عظمى، أو مسبب الأسباب قد شغلت الجنس البشري منذ فجر التاريخ حتى وقت الناس هذا فمن الناس من تداركته رحمة الله عز وجل بإرسال الرسل وإنزال الكتب، ومنهم من لم ينل هذا الحظ الأولي، وهؤلاء منهم من آمن ومنهم من كفر؛ بل إن الأقوام الذين خوطبوا بكلمات الوحي عن طريق الرسل لم يدخلوا في الدين دخولا جماعيا حيث خضعوا لقانون حرية الاعتقاد الذي تلخصه الآية الكريمة ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٣) أروع تلخيص.

وفي هذا السياق نستشهد بوجهتي نظر تحدثت كلتاهما عن المقصد الأول في

حديث الدين للمخاطبين، وهو الدعوة لتوحيد الله عز وجل ونفى الشريك.
فوجهة النظر الأولى صاحبها من القدامى وهو الإمام الشهرستاني الذي يقول عن معرفة الله عز وجل: "لما عدت هذه المسألة من النظريات التي يقام عليها برهان؛ فإن الفطر السليمة الإنسانية شهدت بضرورة لطرقا، وبديهة فكرتها على صانع حكيم عالم قديم... ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع، وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفى الشريك"^(٤).

ووجهة النظر الثانية معاصرة وهي للشيخ محمد الغزالي تمزج بين الإقرار بوجود الله عز وجل والاعتزال بوحدانيته نلتقط منها هذه السطور: "إن الطفل الذي يودع في أحد الملاهي قد يفكر في أبيه عندما يكبر، وقد يحدث عنه، ولكن لا يجري في خاطره أبدا أنه جاء الدنيا من عدم، أو ظهر على الأرض من غير أب وبشرية في أغلب العصور بحثت عن رها وفكرت فيه وربما أخطأت الطريق إليه، فقد تعبد أسما لا

حقيقة له، وقد تعبد حجرا موهوم النفع والضرب، وقد تعبد عجلا، أو تقديس بقرة، أو توله نhra، وقد يحى من يرفض هذه الآلهة المزعومة كلها وينكر أن يكون للوجود سيدا!!

إن قضية الألوهية في التاريخ الإنساني يكتنفها قدر من الغموض، وجهرة الأمم رنت إلى إله كبير، ثم رمزت إليه أو تعرفت عليه عن طريق التماثيل، أو الكائنات التي تنتمي إليه على نحو ما، وتخيل إلى أن رفض عقيدة الألوهية من الأساس لم ينجم إلا بعد شيوع التدين الخرافي، ورفض العقل السجود لحجر أو حيوان أو إنسان.

وكان هذا الرفض المطلق يقع على ندرة ثم شاع في عصرنا الحديث مع التقدم العلمي وانتشار تدين مغموش، وخياله المسلمين لرسالتهم لما بلغوها ولا أنصفوها...

إن الفرار من الحقائق ليس ذكاء ولا شرفا، وإذا كان بعض الملحدين يحسب نفسه مفكرا فليعلم واقعه المر، إنه امرؤ معتل الفكر، مصاب بداء عقلي منفر لا يقل عن الجذام، بل ربما كان المجدوم أشرف خلقا وأصح فكرا.

إن منهج القرآن الكريم هو الجمع في سياق واحد بين دلائل الوجود الأعلى وأدلة الوحدانية المطلقة^(١).

ويتحدث العلماء المعاصرون عن الجمال الكوني بلغة شاعرية تدلنا على وجود الله عز وجل، وذلك في قولهم: "والبشر يلحظون يد الله في ندفة الثلج، وفي غروب الشمس، وفي حقل الأعشاب، وعظمة الجمال وجلاله يحملان توقيع الله الذي لا شبهة فيه.

إياك أن تفوت أية فرصة لمشاهدة أى شئ جميل لأن الجمال خط بيد الله، إنما صلاة تقام على جانب الطريق، رحب بالجمال في كل وجه حسن، وفي كل سماء صافية، وفي كل زهرة جميلة، واشكر الله على ذلك.

وهكذا نجد أن أصل الكون وبنية وجماله تفضي جميعا إلى النتيجة نفسها وهي أن الله موجود^(٢). وللشيخ سيد قطب كلمات جميلة في هذا السياق يقول فيها: "وهذا الوجود بتناسقه وانسياب حركته يمثل صنعة الله من اليسر

(١) الشيخ محمد الغزالي: مائة سؤال عن الإسلام ٢٠٧، ٢٠٤/١

(٢) روبرت م أغروس، وجورج ستانيسو: العلم في منظوره الجديد ص ٧٨ ترجمة د. كمال خلايلي.

(١) هذا البحث منشور بحولية أصول الدين/ القاهرة العدد الثاني عشر سنة ١٩٩٥ م ص ٢٦٩ ص ٣٢٦.

(٢) ط دار الطباعة المحمدية، القاهرة سنة ١٩٩٩ م.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

(٤) الشهرستاني: لمائة الإقدام في علم الكلام ص ١٢٤ حرره وصححه ألفرد جوم.

والانسياب الذي لا تصادم فيه ولا احتكاك.

ملايين الملايين من الأجرام تسبح في فضاء الله وتنساب في مداراتها متناسقة متجاذبة لا تصطدم ولا تضطرب ولا تميد .
وملايين الملايين من الخلائق الحية تجري بها الحياة إلى غاياتها القريبة والبعيدة في انتظام وفي إحكام وكل منها ميسر لما خلق له، سائر في طريقه إلى غاية.
وملايين الملايين من الحركات والأحداث والأحوال تتجمع وتتفرق وهي ماضية في طريقها كنغمات الفرقة العازفة بشقي الآلات لتجتمع كلها في لحن واحد طويل مديد^(١).

وللشيخ محمد متولى الشعراوى رؤية جميلة في هذا السياق حيث يرى أن الإيمان بالله تعالى ضرورة لغوية، وفي ذلك يقول: "من أين دخل لفظ "الله" على لغة الناس؟ أو من أين دخل اللفظ المقابل للفظ "الله" في سائر لغات الناس؟ ما دامت الأمور العدمية لا تصل إلى مرتبة أن توجد لها الألفاظ وما دامت الألفاظ لا تسبق المعاني، إذن فوجود

(١) الشيخ سيد قطب: في ظلال القرآن ٦ / ٣٨٩٢، ٣٨٩٣.

كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الذى أظهر كل شئ؟
كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الظاهر قبل وجود كل شئ؟
كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو أظهر من كل شئ؟
كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو أقرب إليك من كل شئ؟
كيف يتصور أن يحجبه شئ ولولاه ما كان وجود شئ؟
شأن بين من يستدل به أو يستدل عليه.

المستدل به عرف الحق لأصله فأثبت الأمر من وجود أصله. والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه.

وإلا فمق غاب حق يستدل عليه؟
ومق بعد حق تكون الآثار هي التي توصل إليه؟^(١)

رضينا بالله ربا، وبالإسلام ديننا، وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا.

﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ سورة يونس الآية ١٠

(١) د. عبد الحليم محمود: الإسلام والعقل ص ٩٦، ٩٧.

تلك الألفاظ في لغات الناس يدل قطعاً على أن معانيها سبقت وجود اللغة، وأن المعنى الإيماني في وجود الله أمر سابق على أن يكون لنا لغة...

إذن الألفاظ اللغوية تدل على أن معنى لفظ "الله" ودلالته على واجب الوجود سابق على وجود هذه اللغة؛ وذلك يصحح مفاهيم الناس الذين بحثوا في مقارنات الأديان؛ لأن الأصل أن الناس حينما خلقوا أمدوا بالمنهج من الله مباشرة، ثم طرأت عليهم الغفلة، ثم طرأت بعد الغفلة تأثيرات البيئة، فطرا الكفر على ما كانوا يعلمون^(٢).

ولنختم هذه الفقرة بهذه المناجاة الرائعة لابن عطاء الله السكندري، وهو يخاطب رب العزة عز وجل قائلا: "إلهي! كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفقود إليك؟

أيمكن لمفكر من الظهور ما ليس لك حق يكون هو المظهر لك؟
مق غبت حق تحتاج إلى دليل يدل عليك؟
ومق بعدت حق تكون الآثار هي التي توصل إليك؟

(٢) الشيخ محمد متولى الشعراوى: الإسلام والفكر المعاصر ص ١٣، ١٤.

مراجع البحث

- ١- الاتجاهات الحديثة للمستشرقين ومن تابعهم في تفسير القرآن الكريم، د. محمد بن سعيد السرجاني، بحث منشور بمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، العدد ٧٠ شعبان ١٤٢٨هـ - سبتمبر ٢٠٠٧م.
- ٢- أدلة وجود الله تعالى في ضوء العقل والنقل، د. محمد علي عز العرب السماحي، بحث منشور بمجلة كلية أصول الدين، القاهرة، جامعة الأزهر، العدد السابع سنة ١٩٩٠م.
- ٣- الأزهر وحرية الفكر، د. محمد رجب البيومي، مقال بمجلة الأزهر، القاهرة، الجزء الخامس، السنة الحادية والخمسون، رجب ١٣٩٩هـ، يونيو ١٩٧٩م.
- ٤- الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، د. يحيى هاشم حسن فرغل، ط. دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٨٤م.
- ٥- الإسلام السياسي في مصر، د. هالة مصطفى، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ٢٠٠٥.

- ٦- الإسلام والعقل، د. عبد الحليم محمود، ط. دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، سنة ١٩٩٨م.
- ٧- الإسلام والفكر المعاصر، الشيخ محمد متولى الشعراوى، ملحق لمجلة المجاهد من إصدارات فرع الشئون الدينية، القوات المسلحة المصرية، القاهرة، سنة ١٩٨٣م.
- ٨- الإسلام وقضايا الحوار، د. محمود حمدي زقزوق، ترجمة د. مصطفى ماهر، ط. مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، سنة ٢٠٠٤.
- ٩- إسلام الماركسيين، د. عبد المعطى بيومي، مقال بمجلة منبر الإسلام، القاهرة، العدد ٤، السنة ٤٦ ربيع الثاني ١٤٠٨هـ - ديسمبر ١٩٨٧م.
- ١٠- الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة، د. عبد العظيم المطعنى، ط. مكتبة وهبة، القاهرة، سنة ١٩٨٧م.
- ١١- الإسلام في وجه الزحف الأحمر، الشيخ محمد الغزالي، ط. نقضه مصر، القاهرة، سنة ٢٠٠٢م.
- ١٢- الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان ترجمة ظفر الإسلام خان، ط.

دار المختار الإسلامى، القاهرة، الطبعة السابعة سنة ١٩٧٧م.

١٣- إسماعيل أدهم ذلك المغرور المتحرر، د. إبراهيم عوض، مقال منشور بموقع: [http:// al-shaab.org](http://al-shaab.org)

١٤- أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، د. مورييس بوكاى، ترجمة فوزى شعبان، ط. المكتبة العلمية (بدون بيانات).

١٥- الإعلام بمناقيب الإسلام، أبو الحسن محمد بن يوسف العامري ٣٨١هـ، تحقيق ودراسة د. أحمد عبد الحميد غراب، ط. دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، سنة ١٩٦٧م.

١٦- الأعلام، خير الدين الزركلى، ط. دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، سنة ٢٠٠٢م.

١٧- إفلاس الفكر الماركسى، د. محمد عبد الفضيل القوصى، ط. دار الطباعة الحميدية، القاهرة، سنة ١٩٨٢م.

- ١٨- الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، عبد الرحمن عبد الخالق، ط. الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
- ١٩- الله جل جلاله، سعيد حوى، ط. مكتبة وهبة، القاهرة، (بدون تاريخ).
- ٢٠- الله، د. عباس محمود العقاد، ط. مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، سنة ١٩٧٢.
- ٢١- مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة، الشيخ محمد الغزالي، ط. دار الكتب الإسلامية، القاهرة، الطبعة السادسة سنة ١٩٨٥م.
- ٢٢- الإنسان في القرآن الكريم: المبدأ والمصير، د. صلاح عبد العليم، ط. الفجر الجديد، القاهرة، سنة ١٩٨٣م.
- ٢٣- انتحار ملحد، سليمان الخراشى، مقال منشور بموقع: <http://islamway.com>.
- ٢٤- اهتمام الخطاب القرآني بقوى الإدراك الإنسان وأثره في الفكر الإسلامى، د. محمد صلاح عبده محمد، بحث منشور بمجلة كلية أصول الدين،

القاهرة، جامعة الأزهر، العدد الثاني عشر سنة ١٩٩٥م.

٢٥- بحوث في الثقافة الإسلامية، د. أحمد محمد الطيب وآخرين، ط. دار الحكمة، القاهرة، سنة ١٩٩٣م.

٢٦- البهائيون في مصر وخطورهم على الأمن القومي، د. محمد صلاح عبده محمد، بحث منشور بمجلة كلية أصول الدين، الزقازيق، جامعة الأزهر، العدد الثامن عشر سنة ٢٠٠٦م.

٢٧- من تاريخ الإلحاد في الإسلام، د. عبد الرحمن بدوي، ط. دار الشعاع، القاهرة، الطبعة الثالثة سنة ٢٠٠٧م.

٢٨- تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، ط. دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة، سنة ١٩٧٩م.

٢٩- التحليل النفسي لظاهرة الإلحاد، د. إبراهيم عبد الشافي، ط. مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، سنة ١٩٩٨م.

٣٠- التنوير يواجه الإلزام، د. جابر عصفور، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٩٣م.

٣١- الثقافة الإسلامية بين الغزو والاستغناء، د. عبد المنعم النمر، ط. دار المعارف، القاهرة سنة ١٩٨٧م.

٣٢- جريدة الأهالي.
٣٣- جريدة الأهرام.
٣٤- جريدة الدستور.
٣٥- جريدة الشرق الأوسط.

٣٦- جريدة عقيدتي.
٣٧- جريدة الغد.
٣٨- حرب الأكاذيب، عامر العقاد، ط. دار الشعب، القاهرة، سنة ١٩٧٧م.

٣٩- حقيقة العلمانية بين الخرافة والتخريب، د. يحيى هاشم حسن فرغل، ط. دار الصابوني، القاهرة، سنة ١٩٨٩م.

٤٠- الخطر اليهودي: بروتوكولات حكماء صهيون، محمد خليفة التونسي، ط. دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٠م.

٤١- داورن ونظرية التطور، شمس الدين أقي بلوت، ترجمة أورخان محمد علي، ط. دار الصحوة للنشر، القاهرة، سنة ١٩٨٦م.

٤٢- دحض شبهات ومفتريات حول الإسلام، عبد المنصف محمود عبد الفتاح، ط. مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، سنة ١٩٨٤م.

٤٣- ديانة مصر القديمة، أدولف إرمان، ترجمة د. عبد المنعم أبو بكر- د. محمد أنور شكرى، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٩٧م.

٤٤- الدين د. محمد عبد الله دراز، ط. مطبع السعادة، القاهرة، سنة ١٩٦٩م.

٤٥- أبو ذر الغفاري والشيوعية، د. عبد الحليم محمود، ط. دار المعارف، القاهرة سنة ١٩٨١م.

٤٦- الرد على الدهريين، الإمام جمال الدين الأفغاني، ترجمة الإمام محمد عبده، ط. السلام العالمية للطبع والنشر، القاهرة، سنة ١٩٨٣م.

٤٧- الشهادتان: التوحيد والنبوة، الشيخ محمد الغزالي، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، سنة ١٩٦١م.

٤٨- طه حسين في قفص الإتهام، رجاء النقاش، مقال منشور بمجلة الهلال، القاهرة مايو ١٩٧٧م.

٤٩- في ظلال القرآن، الشيخ سيد قطب، ط. دار الشروق، القاهرة، الطبعة الخامسة، سنة ١٩٧٧م.

٥٠- العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث، د. سعد الدين السيد صالح، ط. دار الصفا، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٩١م.

٥١- العلم في منظور الجديد، روبرت أغروس وجورج ستانسيو، ترجمة كمال خلايلي، ط. عالم المعرفة الكويت، العدد ١٣٤ فبراير ١٩٨٩.

٥٢- العلم يدعو إلى الإيمان، كريسي موريسون، ترجمة محمود صالح الفلكي، ط. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة السابعة، سنة ١٩٧٨م.

٥٣- العودة إلى الإيمان، هنري لنك، ترجمة د. ثروت عكاشة، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة سنة ١٩٩٦م.

٥٤- الغزو الفكري وهم أم حقيقة، د. محمد عمارة، ط. روزا اليوسف، القاهرة، سنة ١٩٨٨م.

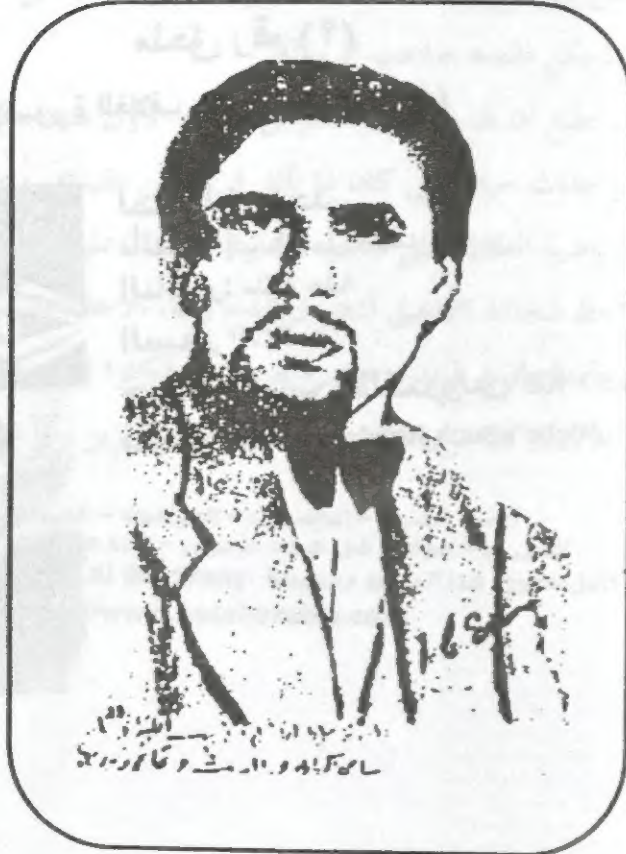
٥٥- فجر الضمير، جيمس هنري برستيد، ترجمة د. سليم حسن، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٩٩م.

- ٥٦- على الفكر الإسلامى
أن يتحرر من سارتر وفرويد ودوركايم،
أنور وجدى، ط. دار الاعتصام، القاهرة
سنة ١٩٧٩م.
- ٥٧- فى الفكر الدينى
الجاهلى، د. محمد إبراهيم الفيومى، ط.
دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة
١٩٨٣م.
- ٥٨- بين الفلسفة الإسلامية
والفلسفة الحديثة، د. محمود حمدى
زقزوق، ط. دار الزينى للطبع والنشر،
القاهرة، سنة ١٩٧٠م.
- ٥٩- الفلسفة القرآنية، عباس
محمود العقاد، ط. دار نمضة مصر للطبع
والنشر، القاهرة، (بدون تاريخ).
- ٦٠- الفيلسوف الشامل:
مسار حياة وبنية عمل، د. حسن حنفى،
بحث منشور ضمن الكتاب التذكارى
للاحتفال بالدكتور عبد الرحمن بدوى،
ط. الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة،
سنة ١٩٩٧م.
- ٦١- قراءة فى كتاب حرية
الاعتقاد، فى القرآن الكريم، د. عبد
الرحمن حلى، قراءة الدكتور حسن أحمد
الخطاف، بحث منشور بمجلة الشريعة
والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت

- العدد ٦٩ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ،
يونيو ٢٠٠٧م.
- ٦٢- قصة الإيمان بين
الفلسفة، والعلم والقرآن، الشيخ نديم
الجسر، ط. المكتب الإسلامى، بيروت،
الطبعة الثالثة، سنة ١٩٦٩م.
- ٦٣- قضايا العصر فى ضوء
الإسلام، أنور وجدى، ط. مجمع
البحوث الإسلامية، القاهرة، سنة
١٩٧١م.
- ٦٤- لماذا أسلمت؟ نصف
قرن من الحقيقة، محمد عثمان الخشت،
ط. مكتبة القرآن، القاهرة، سنة
١٩٨٦م.
- ٦٥- لماذا أنا ملحد؟
إسماعيل أدهم، رسالة منشورة بموقع:
[http:// www.ladeeni.net](http://www.ladeeni.net)
- ٦٦- نحات عن منهجية
الحوار والتحدى الإعجازى للإسلام لـ
هذا العصر، د. رشدى فكار، ط. مكتبة
وهبة، القاهرة، سنة ١٩٨٢م.
- ٦٧- مائة سؤال فى الإسلام،
الشيخ محمد الغزالى، ط. دار ثابست،
القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٣م.
- ٦٨- محاكمة المرتدين، أحمد
السيوى، (بدون بيانات).

- ٧٥- المعجم الوجيز، طبعة
خاصة بوزارة التربية والتعليم المصرية،
ط. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية،
القاهرة، سنة ٢٠٠٦م.
- ٧٦- مفهوم الاحتمال فى
فلسفة العلم المعاصرة، د. حسين على،
ط. دار المعارف، القاهرة، سنة
١٩٩٤م.
- ٧٧- مفهوم الحركة بين
الفلسفة الإسلامية والماركسية د. أحمد
الطيب، ط. دار الطباعة المحمدية، القاهرة
المحمدية سنة ١٩٨٢م.
- ٧٨- النقل من الضلال،
الإمام أبو حامد الغزالى، دراسة تحقيق د.
عبد الحليم محمود، ط. دار المعارف،
القاهرة، الطبعة الخامسة، سنة ٢٠٠٣م.
- ٧٩- فى مواجهة الإلحاد
المعاصر وعقائد العلم، د. يحيى هاشم
حسن فرغل، ط. مجمع البحوث
الإسلامية، القاهرة، سنة ١٩٨٠م.
- ٨٠- نحن والغرب، د.
يوسف القرضاوى، ط. دار التوزيع
والنشر الإسلامية، القاهرة، سنة
٢٠٠٦م.
- ٦٩- محمد فريد وجدى،
رائد التوفيق بين العلم والدين، أنور
الجندي، ط. الهيئة المصرية العامة
للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٧٤م.
- ٧٠- فى المذاهب المعاصرة،
د. أحمد عبده حمودة الجمل، ط. دار
الطباعة المحمدية، القاهرة، سنة
١٩٩١م.
- ٧١- المسلمون بين المطرقة
والسندان، د. سعد عبد العزيز مصلوح،
ط. المختار الإسلامى، القاهرة، سنة
١٩٨٠م.
- ٧٢- من مصادر التاريخ
الإسلامى، د. إسماعيل أدهم، ط. مطبعة
صلاح الدين الكبرى، الإسكندرية، سنة
١٩٣٦م.
- ٧٣- مصر عرفت التوحيد
قبل إخناتون، د. محمد رجب البيومى،
مقال منشور بمجلة الأزهر، القاهرة،
الجزء ٦، السنة ٧٥ جمادى الآخرة
١٤٢٣هـ- أغسطس ٢٠٠٢م.
- ٧٤- المعبود الذى هوى:
آراء فى الشيوعية، مجموعة من الكتاب،
ط. دار الكتب الحديثة، القاهرة، (بدون
تاريخ).

ملحق رقم (١)



صورة شخصية للملحق

محمد عبد التواب

توقيع الملحق

- ٨١- نشأة الدين، على سامي
النشار، ط. مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة
١٩٤٨م.
- ٨٢- نهاية الإقدام في علم
الكلام، الإمام الشهرستاني، حرره
وصححه ألفرد جيوم (بدون بيانات).
- ٨٣- نهاية الشيوعية، مجموعة
من الكتاب، ترجمة وائل غالي، ط. الهيئة
المصرية لعامة للكتاب، القاهرة،
سنة ٢٠٠٦م.
- ٨٤- هل الله موجود أم لا؟،
شها الدمشقي، مقال منشور على
الشبكة الدولية للمعلومات، موقع
اللاذنيين العرب.
- ٨٥- وجود الله تعالى بين
الفطرة والدليل د. محمد عبد التواب
السيد ط. دار الطباعة المحمدية، القاهرة
سنة ١٩٩٩م.

فلو شاء الكاتب أن يأتيها بدراسة وافية شاملة عن هذا الموضوع لفعل، وكان ينوى ذلك بالفعل كما قلنا سابقاً عندما كان ينوى تأليف كتاب عن عقيدته الدينية الفلسفية، لكن هذا لم يكن مقصد صاحب الرسالة.

ونستطيع أن نقسم الرسالة لجزأين، الجزء الأول منها يتكلم الكاتب عن بعض ذكرياته وأحداث حياته التي كان لها تأثير في تكوين عقيدته، والجزء الثاني نرى فيه غلبة العقلية الرياضية العلمية على تفكيره ومحاولة البرهنة على دور المصادفة في تكوين العالم وكما نلاحظ شجاعة إسماعيل أدهم في إبداء رأيه، نلاحظ أيضاً السلوك الحضاري لمن ردوا عليه أمثال محمد فريد وجدي وأبو شادي فكانوا إعفاء اللسان، ولم يطالبوا بمصادرة ما كتبوا محاكمته كما نرى الآن حين يبدي أحد المفكرين رأياً مخالفاً.

كيفية الشراء - الناشر - المؤلفون - الصفحة الرئيسية
انصل بنا - موقعنا في عبون الآخرين - نبذة عن الدار - مواقع مهمة
كامل حقوق هذا الموقع محفوظة © ٢٠٠٥ Dar Al Nasher Al Electrony.
<http://www.kotobarabia.com>

ملحق رقم (٢) (صورة الغلاف على شبكة الانترنت)

لماذا أنا ملحد
تأليف: إسماعيل أحمد أدهم
الناشر: ملكية عامة
السعر EGP ٥.٠٠ :
حجم الكتاب الإلكتروني KB ٤٣٩,٢١ :
صيغة الملف Adobe eBook Reader :



المعلومات الكاملة:

كتبت هذه الرسالة بعد مطالعة الكاتب للرسالة التي كتبها الشاعر أحمد زكي أبو شادي بعنوان "عقيدة الألوهية"، فلم تكن إذن دراسة معدة لبحث موضوع الإلحاد والعقيدة الدينية، فلا نتوقع رسالة مليئة بالبراهين والدلائل لإثبات وجهة نظر صاحبها، بل هي مجرد خواطر كتبت على إثر مطالعته رسالة أبو شادي، أو بالأحرى هي مزيج من الذكريات والانطباعات وفي جزء منها تعرض فقط للبرهان "العملي" أو "الرياضي".

"إن الأسباب التي دعني للتخلي عن الإيمان بالله كثيرة منها ما هو علمي بحث ومنها ما هو فلسفي صرف ومنها ما هو بين بين ومنها ما يرجع لبيئتي وظروفي ومنها ما يرجع لأسباب سيكولوجية، وليس من شأني في هذا البحث أن أستفيض في ذكر هذه الأسباب".

ملحق رقم (٤)

(صورة للصفحة الرئيسية لموقع الملحدون العرب)



المطحدون العرب

[illegible]

١١٥١

مولد بعض الكتب والفتن من
موضوعات الخطبة بالاسلام وطريقا
لما فيها من عباد من قساعات
ول الحيف الحظي ما يحدث ما
و معنى المجرم الاعلامي للكتب
في يتعرض له الفكر في جميع
الحظي قمار المسرة بشكل لا
تسب مع جميع الموضوعات التسرب
ولا في كل من مسرة إلهيا من
سؤال ضمن مشروا الاست
موجودة في عدد كتب.

وخلص قسراً عن صفة له خفا
هذه الإجابة كان لها لم يكن ليشير
بها أولاً طرعا من جانب البعض في
الإسلام . وكان كل تفسير لها لا أتت
ولم بعد أحيانا مشكلا سوى ليس
والمعنى موضح في هذا السؤال
فقط . والسلام وهو موضح كاز
يكنى متفاديا في البهتان
للتقصص شيئا حدث في مجمع
البحر الاسلامي .

والأمر نطق بالقبض الموصوف
بوضع القبض الذي تضمنه
صاحبه عند مراده من ليلته
لأنه لجة في قبضه أو عام
منها لغيره صمما العرب
لوعني الصائم لكن الثابت
القبض لها ولك إنجاز من
تجاوزت العرب ١

لقد تضمنت القواعد الإسلامية كثيرا من القوانين القروسية وسطا أو غير بعيد من العلماء كثيرا من أقرانهم بما كانوا يجهلونهم بنظر الناس أو متفحش أو قزمان أو لئال من أن يتم عملهم في مجالس تفهيم أو جهورهم على الاعتذار أو لئال يحكم القننيز الإسلاميا ضمهم

على الولد نفسه لهم بعض
الامتياز الجدد - من جعل
الطالبة بشكل خالي من تصورات
يهدم على أي رمز إسلامي ثابت
التي تعيد نفسه - يوسع في

مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَتَّبِعُ مَا يَنْهَى عَنْهُ فَإِنَّهُ يَكُونُ مِنَ الْمُتَّقِينَ

منه صلى الله عليه وسلم
عائلة تشري الإسلام والتفكير من
أمره سواء بطب لاء، لاء النبا
ن الدستور الخاصة بالشريعة
الإسلامية، يستعمل بعض

تسعى إلى أن يكون لها دور هام في
تطوير القطاع الخاص في
البحرين. وتعتبر من
القطاعات التي تساهم في
النمو الاقتصادي للبلاد.

والقريب من قراة، يقتضيه ان
لما نصروا كتب لهم وثوقه
من الذين واتوا بالامانة
مستور الذي سيقطع مصر وعلا
على ١٢ ص ١٢٠ من ان ملأنا

۱۹۲۷
نمبر بعدیا ہلاٹ - مرزا قاسم

بگزين هذا مصيرهم

فتحی محمود

fahimahmadul@hotmail.com

ملحق رقم (۳)

(صورة لمقال بجريدة الأهرام يفيد إعادة توزيع رسالة
الملحد بالقاهرة في سنة ٢٠٠٧م)

٢٠٠٧: ١٢، ٢٠٠٧